الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد بوضياف – المسيلة

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم : الفلسفة

اليقين عند ابن عربي

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في الفلسفة

إعداد الطالبة :

زوارق شهرة

إشراف الدكتور:

مسالتي عبد المجيد

السنة الجامعية: 2019/2018

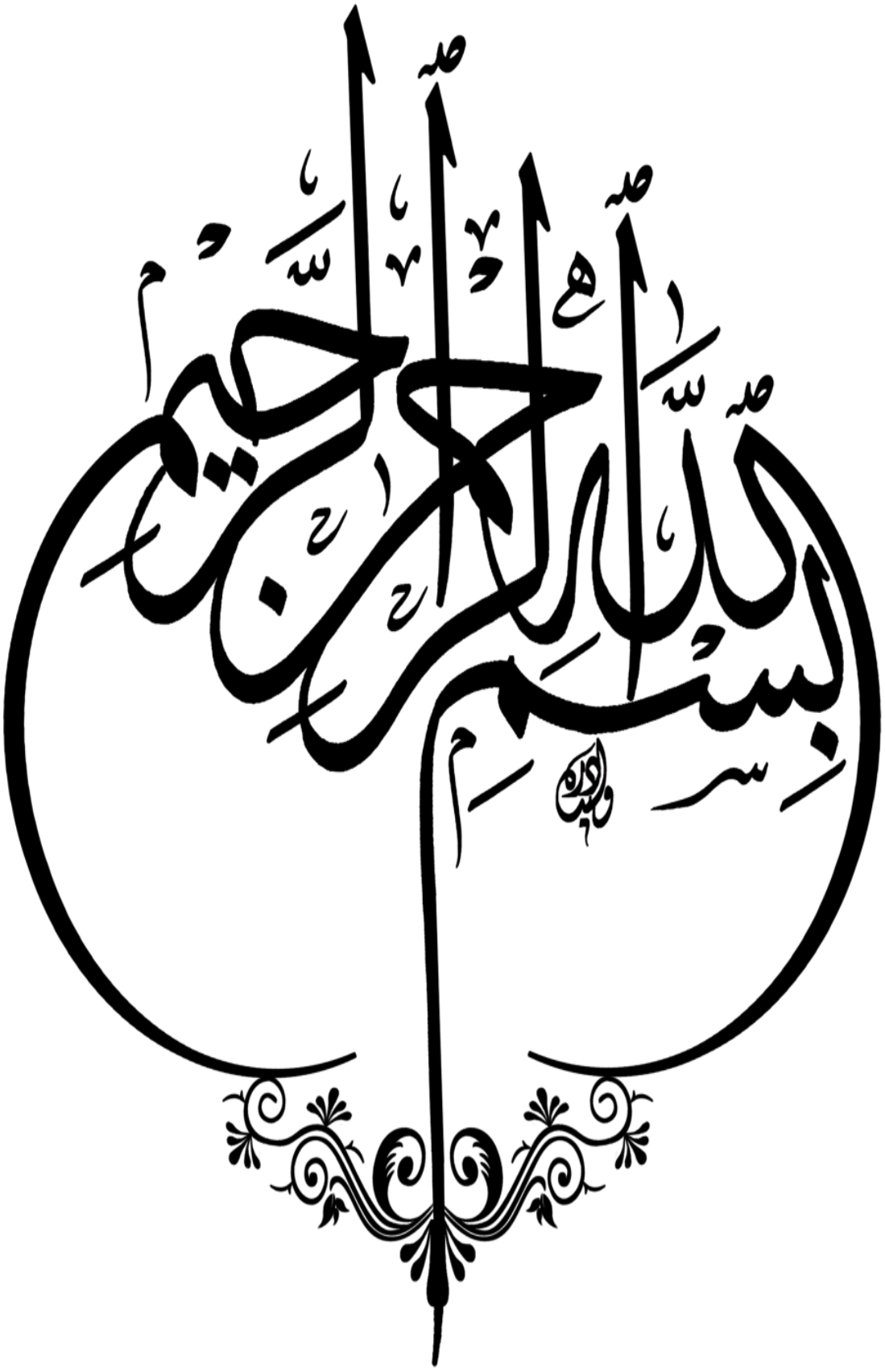
بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم
﴿ يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ
وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ
وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾
المجادلة: 11

شكر وتقدير

أشكر الله- سبحانه وتعالى - الذي يسر لي السبيل، ووفقني لإكمال هذا العمل المتواضع ، واشكره على تسخيراته ، وعلى نعمه التي تجاوزتُ بها عجزي.

وأتوجه بأخلص عبارات الشكر وأسمى كلمات الامتنان إلى الأستاذ المشرف الدكتور" **مسالتي عبد المجيد** " على قبوله الإشراف على هذه الرسالة وحرصه على اكتمالها مع تزويدي بالنصائح و التوجيهات البناءة.

وأتقدم بالشكر الجزيل إلى كل من امدني

بالعون ولو بكلمة طيبة

إهداء

إلى من أنجباني لأبصر نور الحياة و علماني على الصبر والسعي والصدق والإحسان "**والديّ الكريمين**" .

إلى "**أمي الروحية**" التي إن أبعدتها الحياة عني إلا أن أفضال تربيتها و مساندتها الدائمة لم تذهب هباء منثورا .

إلى كواكبي الإحدى عشر" **إخوتي وأخواتي**" ، وإلى كل العائلة من كبيرها إلى صغيرها .

إلى من جمعتني بها الدنيا على غير ميعاد ، فأصبحت جزء من حياتي إلى تلك الفتاة التي أضع رأسي على كتفها عند حزني فتضمني ضمة الأخت

إليك يا رفيقة الفرح والحزن "**جعيجع حنان**"

الى خير صحبة "**مقري غنية**" و "**عروسي أحلام**"

إلى كل من علمني حرفا و أمدني بخبايا المعرفة

إلى كل من أبدوا استعدادا منقطع فلم يقصروا ولو بالكلمة الطيبة .

الرموز والاختصارات المستعملة في المذكرة

تح: تحقيق

تق: تقديم

تع: تعليق

تر: ترجمة

ج: جزء

مج: مجلد

ت: توفي

ص: صفحة

ص ص: الفكرة أو القول مأخوذ من أكثر من صفحة

م: ميلادي

هـ: هجري

ط: طبعة

(د- ط): دون طبعة(د- ت): دون تاريخ

اختصارات الاعلام مثل محي الدين ابن عربي نقول ابن عربي

مقدمة

مقدمة

يعتبر التصوف إحدى التيارات الفكرية التي اهتمت بسلوك الإنسان ، بغية الولوج به إلى مدارج الكمال، و الخروج به من الدائرة المادية إلى الدائرة الروحانية وتزكية النفس، وهذا لا يمكن أن يصل إليه إلا بأعمال الجوارح المتمثلة في العبادات من صلاة وصوم و زكاة وغيرها ، و أعمال القلب كالإخلاص والتوبة و الإنابة ونحوها كثير. وان أعمال القلب هي ؛ الباعثة على أعمال الجوارح ، و من هنا وجبت العناية بها و الحرص على تقويتها ومداومة محاسبة النفس عليها . و إن من أعظم تلك الأعمال القلبية و أعلاها : "اليقين" المصطلح الذي شاع عند الصوفية و يكاد أن لا يخلو أي مصدر من مصادر التصوف من الإشارة إليه ، من قريب أو بعيد . و يشيع عند العامة و حتى من ليس لهم أدنى معرفة بالتفكير الصوفي ، أو الفلسفي أو العلمي . وقد يدخل "اليقين" عندهم ضمن صياغات أخرى ، كالإيمان و العلم و الإخلاص و غير ذلك و بعيد عن النظرة العلمية سنغوص بهذا المصطلح من ناحيته الصوفية الفلسفية ، وهذا لتوضيح مسألة "اليقين" عندهم من خلال عقائدهم بما لها و ما عليها ، وكانت الغاية منه تبيان معالم هذا البرهان اليقيني في الفكر الإسلامي الصوفي خاصة ، ذلك البرهان الخاص بعلوم الأوائل المرتبط في أصوله و فروعه بالقرآن الكريم ، و كذا تقصي الحالات العينية التي وصل بها المتصوف لليقين القطعي و ذلك من خلال جهدهم الذي وضعوه في معايير و موازين دقيقة ؛ لكي يصلوا إلى الإلهام الصحيح المقبول عقليا ، و لكي يثبت أنه على يقين ، و هذا التقصي لا يمكن أن يكون إلا من خلال باب الدراية بحياتهم السلوكية ، و كذا العلم بالأحاديث المروية الموزونة

بميزان العقل المهتدي بنور القران الكريم ، و قد ركز الدارسون لهذا المنبع المعرفي و الباحثون في فروعه عن الحقيقة محاولاتهم في دراسة مؤلفات علماء التصوف و الوقوف على خصائص أدلتهم اليقينية وذلك لمعرفة المنهج المتبع في معرفة الواردات الإلهية المنصبة في صورة الفيض الإلهي ، لأن المعرفة الصوفية الواردة منه، انطلقت من العقل وانتهت إلى العقل و ذلك من خلال تقصي الحق و اليقين في المعرفة الواردة إليه . فالمتصوف ينزع إلى التوحيد بمنطق واحد متفق عليه ألا و هو القلب ، لكن قد تختلف و تتنوع المسالك من اتجاه إلى اتجاه ، و يرون أن التصوف هو : الانقياد و الخضوع لله إلى جانب إثراء الجانب العقلي، و الذوقي معا . و من بعد الإدراك العقلي للصوفي عايش هذا الأخير الجانب الروحي عن طريق الزهد بالوسائل المعرفية الحسية على مستوى العقل، و من ثم خرج بالجانب الوجداني، القائم على المعرفة الروحية الواردة إليه من الرحمات الربانية و في قياسه تيقنه للواردات المعرفية الروحية ؛ يعود مرة أخرى إلى أرض الواقع لتقصي الحق و اليقين . فكان بذلك للصوفية أدبهم و تعاليمهم و طرقهم وفلسفتهم ، التف حولهم من التف و تأثر بهم من تأثر. و بالمقابل ابتعد عنهم من خالفهم ، و ناصب لهم العداء بالفكر و العمل .

و في خضم هذه الظروف التي كان يتطور فيها الفكر الصوفي ، نشأ "محي الدين ابن عربي" فاتخذ من العلوم ما قَوِيَ به علمه ، مما جعله متفردًا بفكره و بفلسفته الصوفية على نحو لا يدعو لمقارنته بغيره ، لأجل هذا حظي بحيز كبير من اهتمامات الدارسين للتراث العربي الإسلامي والصوفي على وجه التحديد، سواء من العرب أو من الغرب ، بحكم أن أعماله تمثل بوابة كبرى، لمن أراد الدخول إلى

عالم التصوف الإسلامي ، و معرفة كيف يتطور، و ينتقل من الزهد إلى مرحلة الكشف ، وخلال هذا الإرتقاء يعمد الصوفي إلى الربط بين النظر والعمل ، و العقل والكشف ، بغية إصابة الحق و بلوغ أعلى المقامات ونيل درجة الكمال، ويكمن سر قوة الفكر الصوفي الأكبري في رمزيته و مجالات التأويل الواسعة التي فتحها على العقل و القلب و الغوص في عالم مطلق ، سعيا وراء الكمال و بلوغ المقام الذي لا يضاهيه مقام .

و اختياري لموضوع " اليقين عند ابن عربي " ، يعود من الناحية الذاتية إلى اهتمامي وميلي لدراسة الفكر العربي عامة و بالفلسفة الإسلامية خاصة ، و كان يشغل اهتمامي موضوع "اليقين" بعد أن أدرج ضمن سلسلة المحاضرات التي درستها عن "الغزالي" و "ديكارت" اللذين اتخذاه منهجا لبلوغ الحقيقة ، فجعلني ابحث عن اليقين عند غيرهم وكيف له أن يكون منهجا صوفيا ؟ أما من الناحية الموضوعية ، فيعود سبب اختياري إلى أهمية الموضوع في الفكر الإسلامي و كذا أهمية و مكانة "ابن عربي" في ذات الفكر عامة و في الفكر الصوفي خاصة و كذا الوقوف على أهم النقاط التي تبين أهمية موضوع البحث .

وتكمن أهمية الموضوع المعالج في:

1. فهم المقصود باليقين في الفكر الصوفي عن طريق ما عرج له "ابن عربي" في فكره.

2. الاطلاع على العلاقة التي تربط بين اليقين ومعرفة الله ، و كذلك التعريف بالإنسان الكامل و واسطيته بين العبد و ربه و كيف يمكن له أن يحقق اليقين؟

وسنقوم في هذه الدراسة بتحليل أراء "ابن عربي" و التي لها علاقة بالموضوع نفسه ألا و هو "اليقين" "عند ابن عربي" ؛ لتكوين صورة مبسطة واضحة شاملة له مبينةً في ذلك مدى العلاقة التي تربط اليقين بالمريد الذي يمكن أن ينتقل بين درجات التصوف باحثا عن الحق ،واصلا له بكل يقين . وعليه توجب علينا طرح الإشكالية الآتية:

ما المقصود باليقين في فكر ابن عربي ؟

ويتفرع عن هذه الإشكالية جملة من المشكلات أهمها : فِيمَّ تكمن العلاقة بين اليقين ومعرفة الله ؟ ما هي أهم الرياضات الصوفية التي يتحقق بها اليقين ؟ و كيف لنظرية الإنسان الكامل أن تكون تجسيدا رمزيا لمسألة اليقين ؟

و انطلاقا من طبيعة الموضوع و الدراسة توجب علينا إتباع المنهج التحليلي من اجل تحليل نصوص ابن عربي ، لفهم مقاصدها ، و إن كان هذا فيه صعوبة بالغة ، و هذه الصعوبة تتجسد في تعقيد النصوص و صعوبة فهم المدارك الصوفية .

أما فيما يخص البناء الهيكلي لموضوع البحث، فقد قسم إلى ثلاث فصول:

استهلت بمقدمة توضح أهم النقاط التي أدرجت في مضمون البحث و الإشكالية المحورية التي يتمركز عليها البحث والمشكلات الفرعية التي نتجت عنها كما تم التطرق إلى أسباب اختيار الموضوع و أهميته و منه ولجنا إلى الفصل الأول الذي كان مفككا، لمصطلح " اليقين "من خلال معرفة دلالة اليقين كمصطلح عند الصوفية عموما و "ابن عربي" خصوصا ، كذلك دلالته في القران الكريم ، كذلك تم التطرق لمراتب و درجات اليقين لمعرفة أنواعه ، و كيف يمكن للمريد أن يحققه و يقويه في نفسه ؟ و قد اشتمل بدوره على ثلاث مباحث أولها المبحث الأول: المجال المفاهيمي الذي ينصب حوله اليقين ، ثانيها المبحث الثاني: تفكيكات متعلقة باليقين ، أما المبحث الثالث : حكم اليقين و مزايا أهله .

و في الفصل الثاني اليقين كأساس عرفاني في التجربة الصوفية و الذي ضم أيضا ثلاث مباحث متجسده في ثلاث عناوين أساسية في فكر "ابن عربي" المبحث الأول: اليقين وعلاقته بمعرفة الله الحقة ،وفي المبحث الثاني : وسائل المعرفة اليقينية ، أما المبحث الثالث: الرياضات الصوفية الموصلة لليقين.

أما الفصل الثالث و الأخير فقد خصصناه كمثال يتجسد فيه اليقين فلم نجد أحسن من نظرية الإنسان الكامل لتكون خير مثال لخير مقام ، و قسمناه هو الأخر إلى ثلاث مباحث . فكان المبحث الأول: المقصد من الإنسان الكامل عند الصوفية عامة وابن عربي خاصة ، والمبحث الثاني: الطرق الموصلة إلى مرتبة الإنسان الكامل ، أما المبحث الثالث: الإنسان الكامل محققا لليقين .

وقد واجهت بعضاً من الصعوبات أثقلها صعوبة التعامل مع المصادر لأنها كانت ترمي إلى مقاصد اعتراها الغموض و التعقيد .

و لجمع المعلومات المتعلقة بالبحث ، تم الاعتماد على جملة من المصادر على رأسها كتاب "اليقين" ، كذلك كتاب "الفتوحات المكية"، و " الإنسان الكامل القطب الغوث الفرد" وغيرها من مؤلفات "ابن عربي" ، والعديد من المراجع التي أَثْرَت موضوع البحث، وسهلت صعوبة المصادر بعض الشيء منها :

كتاب "منارات السائرين ومقامات الطائرين" لـ: "فخر الدين الرازي" وكذا "مدارج السالكين" لـ: "ابن قيم الجوزية" ، و "الإنسان الكامل في معرفة الاوائل و الاواخر" لـ: "الجيلاني" .

الفصل الأول:

اليقين في الفلسفة الإسلامية والتصوف

المبحث الأول: المجال المفاهيمي المنصب حوله اليقين

المبحث الثاني: تفكيكات متعلقة باليقين

المبحث الثالث: حكم اليقين ومزايا أهله

لقد ارتبط مصطلح "اليقين" بالعديد من المسائل منها العلمية و منها الدينية و الصوفية ، والتي ربطته بالمسائل القرآنية و كذا التعبد ، وهذا ما فتح لهم باب الخوض فيه للوصول إلى معرفة الحقيقة ؛ إذ يعتبر"اليقين" مفتاحا من مفاتيحها وبه يستطيع العبد أن يصل إلى العديد من المراتب تدريجيا؛ إذ يعد من أكمل المقامات الصوفية وأعلاها و هو بدوره ينقسم إلى مراتب ونظرا لارتباطه بالمذهب الصوفي عمد إلى دراسته العديد من المتصوفة ، من بينهم سلطان العارفين "محي الدين ابن عربي" و هذا من اجل معرفة ما لمقصود باليقين في القرآن و الصوفية ؟ و ما هي مراتبه وكيف للعبد أن يصل إلى هذا المقام ؟

المبحث الأول: المجال المفاهيمي المنصب حوله اليقين

المطلب الأول: المجال المفاهيمي اللغوي لليقين

ذكر في "لسان العرب" أن اليقين: "العلم وإزاحة الشك* وتحقيق الأمر

و أَيْقَنَ يُوقِنُ إِيقَانًا، فهو مُوقِنٌ ، و يَقِنَ يَيْقَن يَقَنًا، فهو يَقِنٌ"[1] ، و كذلك ذكر في نفس المعجم " يَقِنت الأمر بالكسر، ابن سيدة : يَقِنَ الأمر يَقْنًا و يَقَنًا و أَيْقَنَتَهُ و أَيْقَنَ به و تَيَقَنَهُ و استيقنه و اسْتَيْقَنَ به و تَيَقنت بالأمر واستيقنت به كله بمعنى واحد، وأنا على يقين منه، وإنما صارت الياء واوا في قولك موقن للضمة قبلها، وإذا صغرته رددته إلى الأصل وقل مُيَيْقِنٌ"[2].

وذهب "جميل صليبا" في تعريف اليقين على أنه: "نقيض الشك"[3].

أما في غيرهم من المعاجم ذكر اليقين في اللغة على أنه: "العلم الذي لا شك فيه، أو العلم الحاصل بعد الشك»[4].

---

* الشك، هو التردد بين نقيضين لا يرجح العقل أحدهما على الآخر، وذلك لوجود أمارات متساوية في الحكمين. (جميل صليبا ، المعجم الفلسفي، الشك ، دار الكتاب اللبناني، لبنان، ط1، 1984، ج1، ص 705).

[1]– ابن منظور، لسان العرب، اليقين، دار صادر، بيروت، لبنان ، د ط ، د ت، م13،ص 457.

[2]– نفس المرجع ، ص 457.

[3]– جميل صليبا، المعجم الفلسفي، اليقين، ج2،ص 588.

[4]– عبد المنعم حنفي، المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة، اليقين، مكتبة متبولي، القاهرة، مصر ، ط3، 2000، ص 954.

يرى "ابن عربي"*(560هـ-1165م/ت638هـ-1240م) في تعريف اليقين من الناحية اللغوية كالتالي: "العلم، وإزاحة الشك وتحقيق الأمر وربما أخذ من يقن الماء في الحفرة، إذ استقر فيها. وقد أيقن يوقن إيقانا فهو موقن، اليقين نقيض الشك، والعلم نقيض الجهل، والموقونة هي الجارية المصونة المخدرة أي التي في خدرها لا يراها أحد"[1].

نلاحظ أنه مع اختلاف صياغ الكلام وأساليبه إلا أن مفهوم اليقين في اللغة ينصب في معنى واحد وتحليلا متشابه، بحيث أن اللغة أعطت تحليلا جوهرياً ثابتاً لا تخرج عنه جميع التفسيرات إلا بالإضافة والتعميق بشيء ،لا يخل بالمعنى إذ لا نجد أي تناقض ينفي تعريف عن آخر وكله تذهب لمعنى وتفسير واحد.

المطلب الثاني: المجال المفاهيمي الإصلاحي لليقين

عُنِي مصطلح اليقين بالعديد من الاهتمام وعلى الرغم من اختلاف المعرفين له إلا أنهم ينتهون إلى مصب واحد من المعنى، ولذا نجد أن هذا المصطلح عرف على وجهين من الناحية السيكولوجية هو: "طمأنينة النفس لحكم تراه حقا لا ريب

* - ابن عربي، هو ابو بكر محمد بن علي بن محمد بن احمد بن عبد الله الطائي ، نسبة الى قبيلة حاتم الطائي ، والمعروف باسم "ابن عربي " و بألقاب عديدة منها : "محي الدين " ، و "الشيخ الأكبر" و"ابن أفلاطون"، ولد بمُرْسِيه في 17 رمضان 560 هـ ،يرتكز مذهبه على الزهد والتصوف ، كما انه يجعل اليقين من شان نور الإيمان وحده وينكر على العقل الطبيعي أن يكون معيار الحق في أي مبحث والزهد يحتاج لإكماله إلى بعض المبادئ المنتزعة من اللاهوت ، وقد كان الأثر الأفلوطيني واضح في مذهبه ،توفي سنة 638هـ....(انظر أسين بلاثيوس ،ابن عربي حياته ومذهبه ، تر عبد الرحمن بدوي ، مكتبة الانجلو المصرية ،القاهرة ، دط، 1965 ،صص06 -112).

[1]- ابن عربي، اليقين، تحقيق سعيد عبد الفتاح ، دار أخبار اليوم، مصر، د ط، د ت، ص15.

فيه؛ ويقابل الشك، وقد يذعن المرء لما هو في الواقع خطأ"[1] ، أما الوجه الثاني فهو من ناحية منطقية فيرى على أنه: "كل معرفة لا تقبل الشك، ومنه حدسي كاليقين ببعض الأوليات أو استدلالي غير مباشر ينتهي إليه المَرْءُ بعد البرهنة، ومنه ذاتي يسلم به المرء ولا يستطيع نقله إلى غيره، أو موضوعي يفرض نفسه على العقول كاليقين العامي"[2].

وعلى هذا النحو يكون اليقين إما حدسي بديهي أو استدلالي برهاني، وإما أن يكون ذاتي يخص الفرد وحده أو موضوعي يشمل عامة الناس ويكون مُصَدِقًا به عن طريق العقل. وفي الغالب ما يسمى "التسليم بأمر ظاهر أو راجح يَقِينًا اِقْتِنَاعِيًا أو شبه يقين"[3].

و قد عرفه "جميل صليبا" تعريفا تاما استوفى فيه كل ما سبق بقوله: "اليقين هو الاعتقاد الجازم المطابق الثابت، الذي لا يزول بتشكيك المشكك، وهو حالة ذهنية تقوم على اطمئنان النفس إلى الشيء مع الاعتقاد أنه كذا، وأنه لا يمكن أن يكون إلا كذا"[4].

---

[1]– إبراهيم مدكور، المعجم الفلسفي، الهيئة العامة للشؤون المطابع الأميرية، القاهرة، مصر، د ط، 1983، ص 216.

[2]– نفس المرجع، ص 2016.

[3]– نفس المرجع، ص 2016.

[4]– جميل صليبا، المعجم الفلسفي، اليقين، ج2، ص 588.

وهذا ما يذهب إليه "الغزالي"* (449هـ-1059م/ت500هـ-1111م) في تعريف اليقين فيقول: "أن العلم اليقيني هو الذي ينكشف فيه المعلوم انكشافا لا يبقى معه ريب ولا يقارنه إمكان الغلط والوهم"[1]، كما نجد عبد المنعم حنفي يذهب بتعريف اليقين إلى أنه: "من صفة العلم وفوق المعرفة والدراية، فيقال علم اليقين ولا يقال معرفة، والعلم اليقيني أو اليقين العلمي أبلغ علم وأوكده، ولا يكون معه مجال عناد ولا احتمال زوال"[2].

ويقول "ابن تيمية"* (661هـ -1263م/ت728هـ-1328م) : "فينبغي أن يعلم أن كل واحد من صفات الحي التي هي العلم والقدرة والإرادة ونحوها له من المراتب ما بين أوله وآخره ما لا يضبطه العباد: كالشك، ثم الظن، ثم العلم، ثم اليقين، ومراتبه"[3]، وهذا يأخذنا إلى أن اليقين هو أعلى درجات الإدراك.

* - الغزالي، الإمام أبو حامد محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الغزالي ولد سنة 1059م بمدينة طوس بخراسان، كتب مقاصد الفلاسفة وتهافت الفلاسفة وغيرها من المؤلفات، وقيمته الفلسفية تظهر في الناحية السلبية قبل غيرها، أي في قوة نقده للنظريات الفلسفية مبني على النقد والتهديم وتوفي سنة 1111م. (العزالي: المنقذ من الضلال، تحقيق جميل صليبا، كامل عياد، ط1، دار الأندلس، لبنان، 19، ص 08).

[1]- الغزالي، المنقذ من الضلال، ص 13.

[2]- عبد المنعم حنفي، المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة، اليقين ،ص 954.

* - ابن تيمية، تقي الدين بن أحمد فقيه حنبلي وامام سلفي ولد في حزان سنة 661هـ/1263م ، ومات في دمشق سنة 728هـ /1328م .(جورج طرابيشي ،معجم الفلاسفة،دار الطبيعة للطباعة ةالنشر ،بيروت ، ط3، 2006، ص19).

[3]- ابن تيمية، مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد ابن تيمية جمع وترتيب عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، دط ،2004، مجلد 10، ص 721.

فاليقين: هو مقياس الصحيح من الفاسد عند "الغزالي" إذ نجده يقول: "ثم علمت أن كل ما لا أعلمه على هذا الوجه، ولا أتيقنه: هذا النوع من اليقين، فهو: علم لا ثقة به، ولا أمان معه، وكل علم لا أمان معه، فليس يعلم يقني"[1].

يرى "ابن تيمية " أن اليقين يكون من نفس العبد، فهو الذي يعلم أنه بَلَغَ درجة اليقين وهذا ما يوضحه قوله: "العلم واليقين يجده الإنسان في نفسه كما يجد سائر إدراكاته وحركاته، مثلما يجد سمعه ،وبصره ،وشمه ،وذوقه ، فهو إذا رأى الشيء يقينا يعلم أنه رآه، وإذا علمه يقينا يعلم أنه علمه. وأما إذا لم يكن مستيقنا فإنه لا يجد ما يجد العالم، كما إذا لم يَسْتَيقِنَ رؤيته لم يجد ما يجده الرائي، وإنما يكون عنده"[2].

أما "الرازي"* (564هـ-1168م/ت654هـ-1255م) فقد ذهب بمفهوم اليقين إلى أنه نور قذفه الله فيعرفه قائلا: "أعلم أن اليقين نور قذفه الله تعالى في قلوب المؤمنين والأولياء والأنبياء عليهم السلام، بحسب مقاماتهم في المعرفة، وذلك أن الله تعالى إذا اضطلع على قلوب عباده المخصوصين بالعناية إطلاع الكرم عند توجههم إلى الحضرة بالصدق"[3].

---

[1]- الغزالي، المنقذ من الضلال، ص 14.

[2]- ابن تيمية، جامع الرسائل، ، تحقيق محمد رشاد سالم، دار المدني للنشر والتوزيع، جدة، السعودية ط2، 1984، مج 1، ص 240.

* -الرازي، هو أبو بكر عبد الله بن محمد بن شاهور الرازي ابن داية، كان حافظا وذا مقامات من مؤلفاته بحر الحقائق والمعاني في تفسير السبع المثاني، كشف الحقائق وشرح الدقائق وغيرها، توفي سنة 654هـ (أبو بكر عبد الله ابن شاهور الرازي: منارات السائرين ومقامات الطائرين، تحقيق سعيد عبد الفتاح، مصر، ط 1،1993، ص9).

[3]- الرازي، منارات السائرين ومقامات الطائرين، ص 374.

فاليقين من خلال قول "الرازي" هو: نور قذفه الله في قلوب عباده الأتقياء الذين يتمتعون بدرجة عالية من الإيمان*[1]، ومن هذا الأخير فإن اليقين يكون إما زائد أو ناقص إذا تكون أشبه بما يعرف بعلاقة طردية كلما زاد الإيمان زاد اليقين وكلما نقص الإيمان نقص اليقين. "ولليقين زيادة ونقصان، وضعف وقوة، يزيد بقدر تصفية القلب عن كدورات النفس وتطهيره عن تلونات الأخلاق الذميمة"[2] .

ففي الزيادة نستشهد بقول رسول الله ﷺ: "إن عيسى ابن مريم، عليه السلام كان يمشي على الماء، قال: لو ازداد يقينا لمشى في الهواء"، أما عن النقصان مرتبط بـ: "بقدر تدنس القلب بلون الشهوات، وتكدره بشوب الغفلات، وقوته في الرضا بالقضاء والصبر على البلاء، والتوكل على رب السماء، وضعفه بفقد هذه الأشياء"[3].

أما ابن عربي فقد خصه بأنه: "مقر العلم في الخلد"[4]، كما أنه هو: "ما يكون الإنسان فيه على بصيرة سواء حصل المتيقن أو لم يحصل"[5] مثل:﴿ **أَتَىٰ أَمْرُ اللَّهِ**﴾[6] وإن لم يتحقق هذا الفعل فعلى النفس المؤمنة أن تجزم بحصول، وإن لم

---

* – الإيمان، عند الصوفية هو قول باللسان ومعرفة بالجنان وعمل بالأركان ،يقوى بالطاعة ،وينقص بالرياء والعصيان ،ويزداد بالعلم، وينقص بالجهل ،فالايمان هو قول وعمل ونية صادقة. (حسن الشرقاوي ، معجم الفاظ الصوفية،مؤسسة مختار للنشرو التوزيع ،القاهرة، ط1،1987 ،ص 63).

[1]– الرازي، منارات السائرين ومقامات الطائرين ، ص 374.

[2]– نفس المرجع، ص 374.

[3]– نقلا عن الرازي، منارات السائرين ومقامات الطائرين ، ص 375.

[4]– ابن عربي، اليقين، ص 21.

[5]– نفس المصدر، ص 21.

[6]– سورة النحل، الآية (01).

يحصل ذلك قط[1]. كما نجده فرق تفريقا هاما بين العلم وبين اليقين وفصل فيما وقع فيه غيره وسابقيه من الصوفية لشيوع المعنى اللغوي القريب، ويقول في هذا الصدد: "العلم لا بد أن يستند إلى اليقين، لأن اليقين روح العلم، والطمأنينة حياته، فلا يزال يطلب الزيادة من العلم، ولا يزال يتعلم اليقين لارتباطه به"[2].

المطلب الثالث: اقتران آيات القرآن الكريم باليقين

وردت مادة "يَقَنَ" في القرآن الكريم فيما يزيد عن عشرين آية باشتقاقات مختلفة، موزعة على ما يقارب ثمانية عشر سورة، وعند التأمل في معاني هاته الآيات نجد أن مفهوم "اليقين" يختلف معناه باختلاف مَظَّانِهِ داخل النسق القرآني.

ويوضح ابن عربي في كتابه "اليقين" أنه يمكن أن يأخذ نفس المعاني والدلالات التي تعطيها اللغة، وقد يخرج بدلالات أخرى تختلف اختلافا بَيِّنًا عن معناها في اللغة إلى معاني خاصة بالعقيدة[3]، ومن أهم معاني اليقين في القرآن أن جاء بمعنى الموت أو بمعنى القيامة لإشتراكهما في نقطة واحدة وهي النهاية والزوال بحيث استشهد "ابن عربي" بالآية الكريمة بقوله تعالى: ﴿**وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ ۞حَتَّىٰ أَتَانَا الْيَقِينُ** ﴾[4] ويفسرها "ابن عربي" على أنه "الموت فرأينا به ما

[1]– ابن عربي،اليقين ، ص 21.

[2]– نفس المصدر، ص 24.

[3]– نفس المصدر، ص 16.

[4]– سورة المدثر، الآية (46–47).

كنا ننكره عيانا"[1]، وكذلك نرى نفس المقصد في قوله تعالى: ﴿**وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِين**﴾[2].

ويأتي اليقين في القرآن الكريم على أنه مرادف للشك[3]، يقول "ابن عربي": إذ يكون بدوره معنى العلم والمعرفة[4]، كقوله تعالى: ﴿**وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا**﴾[5]، وقوله ﷻ: ﴿**وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَالسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُم مَّا نَدْرِي مَا السَّاعَةُ إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ**﴾ [6]. كما دلت على العلم في الآية الكريمة لقوله تعالى: ﴿**كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ**﴾[7] والتي فسرها الشيخ الأكبر على النحو الآتي: "أي لو ذقتم اللذات الحقيقية من العلوم اليقينية والإدراكات النوآية المستعلية على هذه الحسيات والخياليات الفانية، لكان ما لا يدخل تحت الوصف من الندم والتحسر على فوات العمر العزيز فيها، والذهول عنها بها"[8].

---

[1] ابن عربي، تفسير ابن عربي، إعداد سمير مصطفى رباب، ، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لينان، ط1، 2001، ج2،ص 387.

[2]– سورة الحجر، الآية (99).

[3]– ابن عربي، اليقين، ص 16.

[4]– يوسف محمود محمد، أسس اليقين بين الفكر الديني والفلسفي، دار الحكمة، الدوحة، ط1،1993، ص 12.

[5]– سورة النساء،الآية (157).

[6]– سورة الجاثية، الآية (32).

[7]– سورة التكاثر، الآية (05).

[8]– ابن عربي ، تفسير ابن عربي،ج2، ص 455

وتليها آية أخرى، تدل على التماس العبد كل ما فاته يقينا: ﴿**ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ**﴾[1] والتي شرحها "ابن عربي" على أنها، تذوق إذ يقول في تفسيره: "لتذوقنها عيانا يقينيا بالذوق والوجدان فوق العلم"[2] ويتابع تفسيره بعد تدقيق في معاني سورة التكاثر بقوله:"أي والله لو علمتم علم اليقين و اوصلتم إلى مرتبته لرأيتم نار جحيم الطبيعة المخصوصة بالمحجوبتين بهذه الرذائل من الانغماس في الشهوات واللذات الوهمية والخيالية والكمالات الحسية والبدنية"[3]، والله يدعم عباده للتحلي باليقين ورغب فيه وحببه في النفوس لما فيه من زيادة التقوى والإيمان، وهذا ما نلتمسه في قوله تعالى:﴿ **اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُم بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ** ﴾[4]، كما أن المؤمن يتخذ اليقين كما نص عليه القرآن منهج لتقويم السلوك وتقوية الإيمان والعلو في درجاته، إذ نجد العديد من الآيات الكريمة كتوجيه خطابه للمؤمنين ذوي اليقين القوي كقوله تعالى: ﴿**وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ كَذَٰلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ** ﴾[5]، وكذا قوله تعالى: ﴿**وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُوقِنِينَ**﴾[6].

---

[1]– سورة التكاثر، الآية (07).

[2]–ابن عربي : تفسير ابن عربي، ص 455.

[3]–نفس المصدر، ص456.

[4]– سورة الرعد ، الآية(02)

[5]– سورة البقرة ،الآية(118).

[6]– سورة الذاريات ،الآية (20).

وقد أدرج "ابن عربي" في كتابه اليقين: "وقد يأتي ليمدح قوما بما فيهم من يقين"[1]، كقوله تعالى: ﴿**هَٰذَا بَصَائِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ**﴾[2].

ولا يمكن أن نتجاوز أن القرآن قسم اليقين إلى ثلاثة أقسام جاءت على شكل آيات قرآنية أولها علم اليقين[3] ﴿**كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ**﴾[4]، وثانيها عين اليقين ﴿**ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ**﴾[5] ،وتأتي ثالثها و هي : حق اليقين ﴿ **وَإِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ**﴾ [6].

إذا كلمة يقين لم تخرج عن معناها اللغوي، إذ أن اقتران المفهوم اللغوي والاصطلاحي كان شبه تام إلا أن القرآن ذهب بهذا المصطلح إلى جانب اعتقادي ديني ومعه يكون التسليم الذي لا يتبعه لبس ولا ريب،والتي يذهب فيها الغموض وبه ينتفي الشك والحيرة.

المطلب الرابع: تعريف اليقين عند الصوفية

ينحصر هم الصوفي في فهم اليقين المنزل دون البحث عنه من خلال الفكر الإنساني، ويأتي فهمه لليقين المنزل من خلال مكاشفاته الوجدانية ومقاماته التي يمر بها من خلال تجربته الذاتية المتصلة بالكون والبعد الباطني معا[7]،وعند أهل

---

[1]– ابن عربي، اليقين، ص 17.

[2]– سورة الجاثية ،الآية (20).

[3]– ابن عربي، اليقين، ص 17.

[4]– سورة التكاثر ،الآية (5).

[5]– سورة التكاثر ،الآية (7).

[6]– سورة الحاقة ،الآية (51).

[7]– يوسف محمود محمد ، أسس اليقين بين الفكر الديني والفلسفي، ص 49

الحقيقة: رؤية العيان بقوة الإيمان لا بالحجة والبرهان، وقيل مشاهدة العيوب بصفاء القلوب، وملاحظة الأسرار، بمحافظة الأفكار[1] .

وقد وضح "إبراهيم مدكور" أن الصوفية قسموا اليقين إلى ثلاثة أقسام استمدوها من تقسيم القرآن لهذا العلم إذ ذكر أنه عند المتصوفة "علم اليقين: تصور الأمور على ما هو عليه، عين اليقين: ما أعطته المشاهدة والكشف، حق اليقين: فناء العبد في الحق والبقاء به علما وشهودا"[2].

أما "جميل صليبا" فقد أوضح أن: "اليقين عند المتصوفة يتجلى في ثلاثة أقسام :وهي علم اليقين، وعين اليقين ،وحق اليقين، كما أشار الى ذلك"الغزالي" فعلم اليقين ما يحصل عن الفكر والنظر، كعلمنا بوجود الماء في البحر، وعين اليقين ما يحصل عن مشاهدة وعيان، كمن مشى ووقف على ساحل البحر وعيانه وحق اليقين ما يحصل عن العلم والمشاهدة معا، كمن خاض في البحر، واغتسل بمائه، أوكمن عرف الحق بالمشاهدة واتحذ به"[3] ،وقد وضَّح عبد المنعم حنفي أصحاب كل مرتبة من مراتب اليقين إذ يقول: "الأولى علم اليقين وأصحابها إما علماء راسخون عرفانهم بالاستدلال والبرهان، وإما صالحون عرفانهم بإمارات وقناعات تطمئن إليها نفوسهم ويقينهم لذلك ذاتي"[4]، أما في المرتبة الثانية وهي عين عين اليقين والتي أسندها حسب قوله إلى: "الحكماء، وهي أن تصير بحيث تشاهد

---

[1]– علي بن محمد السيد الشريف الجرجاني،معجم التعريفات: تحقيق محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة، دط،2004، ص 217.

[2]– إبراهيم مدكور، المعجم الفلسفي ، ص 216.

[3]– جميل صليبا ، المعجم الفلسفي ،ج 2، ص 588–589.

[4]– عبد المنعم حنفي، المعجم الشامل، ص 954.

المعقولات في المعارف المفضية إياها كما هي"[1]، أما الثالثة والتي تكمن في حق اليقين والتي أعطاها: "الأنبياء والأولياء على حسب تفاوتهم في المراتب، وهي أن تصير بحيث تتصل بالمعقولات اتصالا عقليا، وتلاقي ذاتها تلاقيا روحيا"[2].

أما في كتاب اليقين "لابن عربي" فنجده يرى: أن الصوفية تنقسم إلى جماعات وكل جماعة لها مفهوم، فمنهم من يرى أن اليقين هو : "توالي العلم بالمعلوم حتى لا يكاد يغفل عنه، فهو أخص من العلم"[3]، وعند جماعة أخرى اليقين هو: "هو العلم، وهو تقريبا نفس معناه في اللغة، وهذا المعنى يشيع لأول مرة على أن اليقين مكتسب، بينما يذكر آخرون أن اليقين وهبي"[4].

[1]– عبد المنعم حنفي، المعجم الشامل لمصطلحات الصوفية، ص 954.

[2]– نفس المرجع ، ص 955.

[3]– ابن عربي، اليقين، ص 18.

[4]– نفس المصدر ، ص 16.

المبحث الثاني: تفكيكات متعلقة باليقين

المطلب الأول: مراتب اليقين عند ابن عربي

سبق وإن أوضحنا أن اليقين عند الصوفية ، والقرآن وقد استند كلاهما على تقسيمات القرآن التي قسمها إلى ثلاث مراتب أو درجات وهناك من يطلق عليها مقامات هذا حسب ما جاء في توضيحات كتب "ابن عربي" ، وبما أن اليقين يتعلق بالنفس الإنسانية، ويضعف، ويزيد حسب درجة إيمانها، واتفق الصوفية والقرآن كما قلنا على أن درجات اليقين تنحصر في: علم اليقين، عين اليقين، وحق اليقين.

فأننا نجد "ابن عربي" قد أضاف لهذا المصطلح ،إذ نجده "يضع لليقين أركانا أربعة بينما الكل يتحدث عن ثلاثة أركان فقط، فالأركان الأربعة روحانية وهي: العلم، والعين، والحق، والحقيقة"[1]، فنجد في كتاب "الفتوحات المكية " يفسر علم اليقين على أنه: "هو ما أعطاه الدليل الذي لا يحتمل الشبه الواردة من الخاطر*"[2] أما بخصوص عين اليقين التساؤل عن معناه أنه "هو ما أعطته المشاهدة وأعطاه الكشف ابتداءا، أو بعد علم اليقين"[3]، والحق في نظره هو: "ما حصل من العلم بالعلة، ولكن بعد عين اليقين"[4]،وبعدها يتساءل عن الحقيقة فيجيب بأنها "سلب آثار

---

[1]–ابن عربي، اليقين ، ص 22.

*– الخاطر، هو ما يرد على القلب والضمير من الخطاب ربانيا كان أو غير رباني ولكن من غير إقامة، فإن قام في الخاطر أو الضمير فهو حديث نفس (ابن عربي: الفتوحات المكية، تحقيق عثمان يحيى مراجعة إبراهيم مدكور ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة،(دط) 1990، ج13، ص 214).

[2]–. ابن عربي، الفتوحات المكية، ج13، ص 214

[3]– نفس المصدر ، ص 213.

[4]– نفس المصدر، ص 213.

أوصافك عنك بأوصافه: بأنه (هو) الفاعل بك، فيك، منك، لا أنت الفاعل بك، فيك منك"[1]،وبمعنى آخر الحقيقة "هي أن ينظر في مقامه العلوي الذي منه نزل إلى أسفل سافلين، فإنه ينتهي بعد ذلك التكليف والالتحاق بالروحانيات العلا"[2] وكما يقول الله ﷻ: ﴿ **إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُم مَّا مِن دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ**﴾[3] أي يكون أمره بيد الله ﷻويكون العبد خاضع لله ﷻومتيقن ومعترف بهذه الحقيقة أن أمره بيد الله ﷻ، وقد شرح "ابن عربي" هذه الآية موضحا: "قد بين وجوب التوكل على الله وكونه حصنا حصينا أولا بأن ربوبيته شاملة لكل أحد، ومن يرب يدبر أمر المربوبه ويحفظه فلا حاجة له إلى كلاءة غيره وحفظه، ثم بأن كل ذي نفس تحت قهره وسلطانه أسير في يد تصرفه ومملكته وقدرته عاجز عن الفعل والقوة والتأثير في غيره، لا حراك به بنفسه كالميت"[4]، فكما يقول "ابن عربي": "وأعلم أن لليقين علما وعينا وحقا ولكل حق حقيقة"[5].

ثم يضيف على أربعة أركان الأولى أربعة أخرى لفظية يسميها جسمانية "فيجعل لليقين نشأتين: نشأة روحانية في علم المعاني وهي الأركان الأولى التي تحدثنا عنها ونشأة جسمانية في عالم الألفاظ،وهي الأركان الأربعة الأخرى وهي الياء والقاف، والياء، والنون، واكتمال النشأتين يعطي ثمانية أركان وهي الحاملة

---

[1]– ابن عربي، الفتوحات المكية، ج13، ص 215.

[2]– ابن عربي، اليقين، ص 24.

[3]– سورة هود ، الآية(56).

[4]– ابن عربي، تفسير ابن عربي، إعداد سمير مصطفى رباب ، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط1، 2001، ج1،ص 304.

[5]– ابن عربي، الفتوحات المكية، ج14، ص 195.

للعرش"[1] مستشهدا بقوله تعالى: ﴿ **وَالْمَلَكُ عَلَىٰ أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ**﴾[2].

إذ نجد أن اللغوية منها، هي عبارة عن الحروف المركبة لكلمة يقين: "فنجد أن الياء الصحيحة، التي جاءت في بدايته خصت بالفتحة وهي الرحمانية ولهذا جاء التنبيه"[3] ﴿**مَّا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِن بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ**﴾ [4] "وكانت الياء وهي باردة لأن برد اليقين قد ورد في الخبر عن النبي ﷺ: ولها أول العقد فلها الأحدية في انتشاء العقد وهي المرتبة الثانية من الأربع التي اختصت بها العدد وهي الآحاد والعشرات والمئون والآلاف"[5]. والآلاف"[5]. ونجده يرجع الحركة –الفتحة– التي ظهر على الياء على أن سبب حركتها يعود لأصل الوجود هو الحركة لأنه لا يتصور أو لا يمكن النطق بساكن، لأن السكون ينفي الحركة، ويحتاج إلى همزة وصل وحرف متحرك"[6].

أما عن الحرف الموالي والذي يأتي مباشرة بعد الياء وهو القاف: فقد قال فيه:"وأما القاف فهو حرف عجيب، جمع بين دوائر السعة بما بقى منه ولكن ظهر منه في الوجود للعين ما ظهر من الفلك نصف الدائرة ،ولما كان الفلك يدور فيظهر كله لهذا جاء شكل رأسه دائرة كاملة، لكنها دائرة ضيقة. فإن دائرة جبل قاف إنما

---

[1]– ابن عربي، اليقين، ص 22.

[2]– سورة الحاقة، الآية (17).

[3]– ابن عربي، اليقين، ص 73.

[4]– سورة فاطر، الآية (02).

[5]– ابن عربي، اليقين، ص 73.

[6]– نفس المصدر، ص 73

هي على الأرض، والأرض أول الأجزاء، فكانت دائرة رأس القاف من ذلك الحساب."[1]

وعن بقية تشكيلة الحرف، قال: "ثم أعطى الخفض لشبهة بالسفل ،وأعطى النقطة من فوق لشبهه بالعلو، فراعى أهل الشرق مناسبته مع الياء، فنقطوه باثنين لأنهم رأوا ياء قبله وياء بعده، وراعى أهل الغرب شبهه بالنون لنصف دائرة الفلك، فنقطوه واحدة مثل النون"[2].

وقال في الياء المعتلة التي جاءت في المرتبة الثالثة وميزها عن التي سبقتها في أول الكلمة فيقول: "منها: السكون، وبه أشبهت القاف، لأن الجبل والوتد وهو ساكن لأن أصل وضعه أن يسكن،وهي باردة"[3] كما أنها: "حرف علة: ومعلولها في العالم الأسفل والأعلى فأشبهت القاف والنون، لأن النون علوية إذا كانت نصف دائرة الفلك فلهذا وقعت بينهما، فأما تأثيرها في السفل فإنها حرف علة فعنها ظهرت الأحكام والأمور المقربة للسعادة وحرف الأنبياء (عليهم السلام) وأما تأثيرها في العالم العلوي فإنها حقيقة الإنسان".[4]

وأما النون فباردة تم تقديمها في الخبر "قد جاء ببرد اليقين وبرد الأنامل، فعلم العلوم كلها عند هذا البرد فما أعجب هذه الحكمة، كيف اختص الله ذات اليقين بهذه الحروف والنون له الخمسون، وهو شطر المائة الذي هو القاف فلذلك كان نصف دائرة (لأنه على نصف القاف)"[5].

---

[1]– ابن عربي، اليقين ، ص 75.

[2]– نفس المصدر ، ص 75.

[3]– نفس المصدر ، ص 75.

[4]– نفس المصدر ، ص 76.

[5]– نفس المصدر ، ص 77.

كما نجد " ابن عربي" يفسر حركات التي تنطق على حسابها كلمة يقين – كيفية النطق– على أنها شبيهة بحركات الكون وهذا يرجع لرد الكلمة وربطها بأصل الوجود وردها للمحرك الذي هو الله عز وجل، يقول في هذا الصدد: "الفتح في الياء والكسر في القاف، والضم في النون ولما وقعت آخر الكلمة قبلت جميع الحركات والسكون بحسب المؤثر المحرك لهذا الفلك"[1] كما أسند محلاته الإعرابية إلى دور هذه الكلمة فربط حالتها في المبتدأ أو الفاعل بالعلو والرفعة ويكون له الأثر، أما إذا جاءت منصوبة فخفضت وكان مؤثرا، وأما إذا بقي ينتظر أمر المؤثر سكن كما أشاد بأن حروف اليقين (الياء– القاف– الياء– النون) تقبل تغيير الصفات والأحكام[2].

وكما نلاحظ أن "ابن عربي" خص الصفات الروحانية بباطن الفرد اتجاه الأمور الخارجية والتي تكون، إما عملا أو حكما، أما الصفات الجسمانية فخصصها لجانب لغوي نحوي وربطه بالوجود وأصله وهذا راجع لسبب واحد وهو ارتباط الفرد بالوجود وتقبله لما هو موجود.

المطلب الثاني: أنواع اليقين

بما أن اليقين مطلوب لبلوغ الحقائق جمعاء، فقد شمل هذا الحقيقة الصوفية فلا بد للعابد المتصوف أن يصل لليقين كغيره من بالغين الحقيقة و المنشغلين به وقد نجد"عبد المنعم حنفي"يقسم اليقين حسب الفلسفة المدرسية إلى ثلاث أنواع :"اليقين الحدسي مجاله الحقائق البديهية، واليقين الاستدلال: مناطه الحقائق النظرية

[1]– ابن عربي، اليقين، ص 78.

[2]– نفس المصدر، ص 78.

.

واليقين الأخلاقي هو: أن لا يثور المرء شك إزاء حقيقة أمر من الأمور"[1]، ويفسرها "جميل صليبا "على أن هذا قد يحول إلى أن اليقين عبارة عن نوعين ذاتي وموضوعي فالذاتي: يخص النفس وحدها دون أن يشترك فيه مع غيرها والموضوعي: ما يكون محصور في الحقائق العلمية ومفروض على العقل، ويضم كل من اليقين العلمي واليقين المنطقي.[2]

وإن لاحظنا أن هذا الكلام والتنوعات تتعلق باليقين بصفة عامة ولكن عند المتصوفة فهذا يأخذ إلى منحنى آخر فأنواع اليقين مرتبطة بحقيقة واحدة وهي "الله" وكل ما يتعلق بالدين الإسلامي وما جاء في خضم هذه الحقائق المتضاربة حول الوجود والتوحيد ومشروعية وجود هذه الحقائق ولهذا ما يتطلب اليقين هو التسليم بهاته الحقائق مما يجرنا إلى أنه نكون متيقنين، وقد نصت آيات القرآن على أنواع اليقين والتي مرتبطة بالإيمان.

والإيمان المتطلب لليقين بكل ما يتعلق بالأمور الغيبية ورسوله وكتبه وكل الشواهد المروية ومنها قصص الأنبياء ،والوحي، واليوم الآخر، والجنة والنار، وهذا ما يتمثل في قوله تعالى: ﴿**الم ۞ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۞الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ۞وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ**"﴾[3] ، كما ينجم عن هذا يقين آخر فالأول كان بالقلب ،والثاني يكون بالعمل، ويخص الأوامر والنواهي أي ما أحل الله وما حرمه، مهتدين بها ومتخذ منها منهجا للصلاح في شؤون الدنيا والآخرة لأن هذا ما جاءت به الشريعة الإسلامية وهذا ما يثبت صحة وجهة نظرنا قال

[1]– عبد المنعم حنفي، المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة، ص 955.

[2]– جميل صليبا، المعجم الفلسفي، ج2 ، ص 588.

[3]– سورة البقرة ، الآية(01_04).

تتعالى: ﴿**هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبْدِهِ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لِّيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ**﴾[1] وهنا يجب على المؤمن أن يجتنب الآثام بيقين تام كالبعد عن الربا مع وجود عدم التشكيك في حكم الله على الربا وكذا عدم البحث في المسائل هذه لأنه فصل فيها.

ومن اختص بهاته الأنواع هو المتيقن وهذا ما حدثنا به الله في الآية التالية: ﴿ **لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ** ﴾[2].

ومنه نستنتج أن المتيقن يجب أن يؤمن بقلبه يقينا داخليا تاما، يكمن في النفس وكذا يكون في أفعاله، وأقواله، فيكون متيقنا بما يلج في صدره، ويصدر عنه من قول وعمل.

المطلب الثالث: مقام اليقين

نقصد بالمقام هنا التوبة والورع والزهد والفقر والصبر والرضا والتوكل وغير ذلك، والمقام معناه مقام العبد بين يد الله ﷻفيما يقام فيه من المجاهدات والرياضات والعبادات وشرطه ألا يرتقي من مقام إلى مقام ما لم يستوف أحكام ذلك المقام، فإن

[1]– سورة الحديد ، الآية (9).

[2]– سورة البقرة، الآية (177).

من لا قناعة له، لا يصح له التوكل، ومن لا توكل له، لا يصح له التسليم وهكذا[1] .

يعد اليقين من المقامات العالية فهو، الذروة التي ينبغي أن يصل لها العارف (ففيه نظر المنظرون) فعليه حث القرآن واتبعه المؤمنون وعليه تتنافس المتنافسون وقد ارتبط بإيمان القلوب وسكينتها، فمتى وصل اليقين إلى القلب إمتلأ نورا وإشراقا وانتفى عنه كل ريب وسخط، فكان قلب المؤمن المتيقن مليء بحب الله والرضا بما كتبه له وشكرا له وتوكلا عليه حيث نجد " الرازي " يقول في كتاب "منارات السائرين ومقامات الطائرين": "ثم أعلم أن اليقين من مقامات لا ينقطع السير فيها إلى الأبد لأنه ثمرة شجرة المعرفة، وهي متناهية، فثمرتها تكون غير متناهية، فكما أن للعارف في مقام السير في الله تتجدد المعرفة، ويزيد مع لحظاته إلى الأبد كذلك يتجدد للموقن السائر في مقام حق اليقين بحسب المعرفة مزيد في اليقين إلى الأبد"[2]، أي أن اليقين لا يكون محدودا فكلما زادت درجة اليقين واختلفت كانت درجة المعرفة أعلى وكلاهما يكون غير متناه ولا يتوقف ويبقى متواصلا، كما أن شرط الوحيد لزيادة اليقين هو الثبات على العبادة والإيمان وزيادتهما وكلما زادا ارتفعنا بين مراتب اليقين علم وعين وحق يقين ويزداد ولا تكون له نهاية، وقد يصل إلى مقام اليقين بعد كشف الغطاء (معرفة الأسرار الإلهية): "وقد كشف غطاء السائرين إلى الله تعالى في حياتهم ووصلوا إلى مقام الإيقان بعد الإيمان بل حصلوا في مقام العيان حتى قال بعضهم: لو كشف الغطاء ما ازددت يقينا، واليقين يورث الصبر"[3].

---

[1]- عبد المنعم حنفي، معجم المصطلحات الصوفية، ، دار المسيرة، بيروت، ط1،1987 ص 647.

[2]- الرازي، منارات السائرين ومقامات الطائرين، ص 376.

[3]- نفس المرجع، ص 376.

وجاء في كتاب اليقين أنه ما يعرف به من العابد والمعبود، ومن العامل والمعمول به؟ وعلمت ما أثر الظاهر في المظاهر،وما أعطت في الظاهر.[1]

وقد ذكر "ابن القيم الجوزية "في كتابه" مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين "أنه من منازل هذه الأخيرة منزلة اليقين، إذ يقول: "وهو من الإيمان بمنزلة الروح من الجسد وبه تفاضل العارفون وفيه تنافس المتنافسون وإليه شمر العاملون،وعمل القوم إنما كان عليه، وإشارتهم كلها إليه، وإذا تزوج الصبر باليقين: ولد بينهما حصول الإمامة في الدين"[2].

كما يقدم "ابن عربي في كتاب" الفتوحات المكية" وبالتحديد في باب معرفة مقام اليقين الأبيات التالية [3] :

إن اليقين مقر العلم في الخلد في كل حال بوعد الواحد الصمد
إن اليقين الذي التحقيق حصله أعكف عليه ولا تنظر إلى أحد
فإن تزلزل عن حكم الثبات فما هو اليقين الذي يقوى به خلدي

[1]– ابن عربي، اليقين، ص 93.

[2]– ابن قيم الجوزية، مدارج السالكين، دار الكتب العلمية، لبنان، ط1 ، د ت ، ج2 ،ص 413.

[3]– ابن عربي ، الفتوحات المكية ، ج14، ص 193.

المبحث الثالث: حكم اليقين ومزايا أهله

المطلب الأول: حكم اليقين

يرى "ابن عربي" أن حكم اليقين يكمن في: "سكون النفس بالمتيقن، أو حركتها إلى المتيقن"[1]، والذي تذهب إلى طمأنينتها وراحتها بعد أن تنفي عنها الشك وهي تتبع الراحة النفسية إذ نجد قوله تعالى: ﴿**قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي**﴾[2] إذ أن لليقين مقام شريف بين العلم والطمأنينة.

كما أننا نجد لليقين أحكام كثيرة منها ما ذكر في "كتاب الفتوحات"، يقين لمقاومة القهر الإلهي وهذا يكون مطلوب من العبد كصبر العبد على البلاء حتى يرفعه الله عنه ويكون العبد سائلا عنه ،ويأتيه من غير تعمد، فيقبله العبد أدبا وطاعة لله: "إذا أراد الله أن يصير هذا العبد محلا لوجود هذا اليقين، ويكون حكمه في هذا المحل التعلق بالله في دفع الضرر عن هذا العبد، فيكون ذلك سؤال اليقين وتعلقه بجانب الحق، لا تعلق العبد ولا سؤاله"[3].

أما في حالة المنفعة فيطلب استدامتها ويفسرها "ابن عربي" قائلا: "وأما في حال المنفعة فلا حكم له إلا في استدامتها، لا فيها فإنها حاصلة فإن توهم العبد إزالتها، فإن اليقين يطلب من الله استمرار وجودها في محله"[4].

و لا يصحب اليقين خوف لكي تسكن النفس للمريد كذلك يقال في نفس الكتاب أن لا طمأنينة مع المريد إلا عن بشرى، ولذا يتوجب الوقوف مع إرادة الله

---

[1]– ابن عربي، اليقين ، ص 21.

[2]– سورة البقرة ، الآية(260).

[3]– ابن عربي، اليقين، ص 22.

[4]– ابن عربي ، الفتوحات المكية ، ج14، ص 205.

لذا يشير "ابن عربي" هذا الأمر قائلا: "فإن الوقوف مع إرادة الله لا يتمكن معها سكون أصلا، لأنه خروج عن حقيقة النفس والشيء لا يخرج عن حقيقته إذ خروج الشيء عن حقيقته محال فلا طمأنينة مع "المريد" إلا عن بشرى، فإن يسكن "العبد" عند ذلك، لصدق القول وتكون البشرى معينة، مؤقتة، وحينئذ يكون له السكون إليها: وهو اليقين"[1].

وهذا ما اصطلح عليه أهل الله، ولكن نحن، فاليقين عندنا موجود في كل أحد من خلق الله، إذ يرتبط بأمرين ولكل أمر حكم يترتب عليه، الأمر الأول: اليقين بأصل الإيمان ،فهو بهذا المعنى شرط من شروط التوحيد (لا إله إلا الله) ولا يجوز الإيمان مع الشك أو التردد وعدم اليقين، فالإيمان لا يقبل إلا باليقين، يقول: "فأما اليقين الذي هو صفة العبد، فذاك قد فعله من حين عبد ربه، ولا تصح العبادة إلا به، وإن كان له درجات متفاوتة"[2]، فهذا يثبت أنه يتوجب على العبد أن يعبد ربه بيقين، يخلو من الشك ،والريب وإلا أعتبر كافرا،وبهذا أن كل من يحمل صفة الكفر هو في شك وريب وكذا تردد﴿ **أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِن بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ**﴾[3].

ومما نستنتجه مما قلناه أن اليقين مرهون بالإيمان بالتوحيد، وهو شرط من قبوله، فهو العلم المستقر في القلب مع اعتقاد العمل بالشهادتين إضافة إلى هذا أنه

[1]– ابن عربي ، الفتوحات المكية ، ج14، ص 208.

[2]– ابن تيمية ، الاستقامة،ج1، تحقيق محمد رشاد سالم، (دط)، هجر للطباعة والنشر، مصر، 1991، ص 418.

[3]– سورة إبراهيم ،الآية (09).

أعلى شعبة من شعب الإيمان، إذ يجاز أصحابها بأعلى الدرجات فهو ليس شرط أصل فقط بل هو علم وعمل، يرتقي به المؤمن إلى منزلة عزيزة على الله تعالى.

المطلب الثاني: آثار اليقين

مثلما لكل بذرة ثمار فإن لليقين آثار، فقد تعددت آثاره على العبد، إذ يرجع عليه اجتهاد في التعبد بالعديد من المصالح الدنيوية والأخروية ،إذ نجد في كتاب "دار السعادة للإمام "ابن القيم الجوزية "يربطه بالعلم، إذ يعتبره ثمرة من ثمراته فيقول: "أنه لو لم يكن من فوائد العلم إلا أنه يثمر اليقين الذي هو أعظم حياة القلب، وبه طمأنينته وقوته ونشاطه وسائر لوازم الحياة لكفاه شرفا وفضلا"[1]، فمع اليقين يزول الخوف، وينتهي الشك، ويصبح العبد مسلما لله عز وجل وجازما بقدرته وراضيا لما قسمه له.

ومع اليقين يكون العلم صحيحا، ويكون بهذا متبوعا بالإخلاص، أما من جهة أخرى، فهو يزيد من قوة الإيمان، وقد اقترن اليقين بالتوكل ويعتبر ثمرة من ثمراته ونتيجته، ولهذا حسن اقتران الهدى به[2]، لقوله تعالى: ﴿**فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ** ﴾[3] واليقين هو الحق[4].

كما أن اليقين سبب لتوفيق الله لعبده، وكذلك يعين على العبادات والقيام بالمشروعات والإقدام على الأمر بالمعروف وإنكار المنكر والجهاد في سبيل الله

---

[1]– ابن قيم الجوزية، مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، تحقيق عبد الرحمان بن حسن بن قائد، دار علم الفوائد، دط، د ت ، مج 1 ، ص 435.

[2]– ابن قيم الجوزية ، مدارج السالكين، ص 414.

[3]– سورة النمل ، الآية(79).

[4]– ابن القيم الجوزية ، مدارج السالكين، ص 414.

تعالى "واليقين والمحبة هما ركنا الإيمان وعليهما ينبني، وبهما قوامه وهما يمدان سائر الأعمال القلبية والبدنية وعنهما تصدر، وبضعفها يكون ضعف الأعمال وبقوتهما قوتها، وجميع منازل السائرين ومقامات العارفين إنما تصح بهما وهما يثمران كل عمل صالح، وعلم نافع ،وهدى مستقيم"[1] كما يضيف" ابن قيم الجوزية" قائلا: "فاليقين روح أعمال القلوب التي هي أرواح أعمال الجوارح، وهو حقيقة الصديقية وهو قطب هذا الشأن الذي عليه مداره.[2]

وكذا اليقين من أسباب انشراح الصدر وسلامة النفس من الخوف والقلق والتردد، فاليقين يعين على الصبر والاحتساب والرضا بالقضاء والقدر، ويدفع عن القلب الوساوس والخواطر السيئة، لقوله تعالى: ﴿ **ما أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ** ﴾[3]، فاليقين كما "يقول ابن القيم الجوزية" "من أفضل مواهب الرب لعبده، ولا ثبت قدم الرضا إلا على درجة اليقين"[4] إذ أن هداية القلب والرضا لن تتحقق إلا باليقين.

المطلب الثالث: علامات أهل اليقين

نبتدئ حديثنا بتبيين أن أصحاب اليقين يختلفون عن أصحاب علم اليقين إذا نجد أن" ابن عربي" يرى أن هناك تمييز فيقول: "وإنما جعل له علما وعينا وحقا

[1]– ابن قيم الجوزية ،مفتاح دار السعادة، ص 436.

[2]– ابن قيم الجوزية ، مدارج السالكين، ص 413.

[3]– سورة التغابن ، الآية(11).

[4]– ابن قيم الجوزية مفتاح دار السعادة، ص 437.

لأنه قد يكون يقين ما ليس بعلم، ولا عين ولا حق، ويقطع به من حصل عنده، وهو صاحب يقين لا صاحب علم يقين"[1].

ومنه وكما ذكرنا فيما سبق أن اليقين له ارتباط عميق بالإيمان فأهل اليقين هم أهل الإيمان وهم أهل التميز في الأقوال والأفعال، ولهم صفات تتباين، وتتمايز عن صفات باقي الناس فمن صفاتهم: والتي استنبطناها من القرآن الكريم:

1. الإيمان بالغيب كما ذكر في سورة البقرة الآيات (5/4/3).
2. يؤمنون بيقين أن رزقهم في الدنيا بيد الله ﷻكما ذكر في سورة الذاريات الآيات (20 إلى 23).
3. يطبقون شرع الله وأحكامه في أمورهم الدنيوية كما ذكر الله عز وجل في سورة المائدة الآية (50).
4. لا تتشابه عندهم آيات الله ويتبعون الحق دون الخروج عنه كما ذكر في سورة البقرة الآية (118).
5. يقدسون القرآن الكريم ويؤمنون بآياته سورة السجدة الآية (24) وكذا بإعجازه كما ذكر في سورة الأنعام الآية (175) وسورة الجاثية من الآية (03) إلى الآية (06).
6. يؤمنون بيقين بأن الفرج والبلاء وكل ما أصابهم في الدنيا بأمر من الله نجد هذا في سورة يونس الآية (107).
7. يؤمنون بالقضاء والقدر سورة يس الآية (83) كما أننا نجدهم مستعدون للموت والحساب كما جاء في سورة النمل من الآية (01) إلى الآية (03).

[1]– ابن عربي ، الفتوحات المكية، ج14، ص 195.

كما نجد المتيقن بحسن الظن بالله كما ذكر أن المتيقن يعرف نفسه من ذاته للصفات التي يحملها في قلبه ونذكر منها تعلق قلبه بالله تعالى، وميلك لقراءة القرآن، إلحاحك بالدعاء، تذكرك للموت وما بعده من مشاهد عظيمة في القبر ويوم القيامة، وهذا ما تفسره آيات القرآن الكريم والتي حاولنا أن نأخذ أهم الأمور فيها دون التعمق فيها لأنها بحر وعلما كبير لا يحويه كتاب بل قلب متيقن لما جاء به الله ﷻ.

ونجد أنه قد ذكر ثلاثة أعلام من اليقين: "قلة مخالطة الناس في العشرة، وترك المدح لهم في العطية، والتنزه عن ذمهم عند المنع" وثلاثة من أعلامه أيضا: "النظر إلى الله في كل شيء، والرجوع إليه في كل أمر ،والاستعانة به في كل حال".[1]

المطلب الرابع: وسائل تقوية اليقين

جاء في كتاب الوصايا" لابن عربي": أن هناك وصية نبوية تحذر من ضعفاء اليقين وما أشيم ذلك فيقول ﷺ: "إن من ضعف اليقين أن ترضي الناس بسخط الله، وأن تحمدهم على رزق الله، وأن تذمهم على ما لم يؤتك الله، إن رزق الله لا يجده حرص حريص، ولا يرده كراهية كاره، إن الله تبارك اسمه جعل الروح والفرح في الرضا واليقين، وجعل الهم والحزن في الشك والسخط، إنك لم تدع شيئا تقربا إلى الله إلا أجزل الثواب عليه، فاجعل همك وسعيك لآخرة لا ينفذ فيها ثواب المرضي عنه، ولا ينقطع فيها عقاب المسخوط عليه"[2] وعليه فإن كل شيء من الله بأمره وحده لكن يسخر لنا في الدنيا من يأتينا الشيء بفضله، لكن الفضل كله لله ونحمده عليه، لكن إذا لم يأتينا به فكذلك يجب أن نسخط لأمره، وتزعج به، لأنه

[1]– ابن قيم الجوزية، مدارج السالكين، ص 415.

[2]– ابن عربي، الوصايا، دار الإيمان، بيروت، لبنان، ط2، 1988، ص 302.

يستوجب علينا أن نحسن الظن دائما به، لأن كل شيء من عنده خير سواء في إعطاءه أو منعه.

وبما أن ذكرنا أنه غير محبب لله، أن يكون المرء ضعيف يقين، لأن ضعفه من ضعف الإيمان ولذا يستوجب على العبد أن يقويه وذلك عن طريق وسائل متعددة نذكر منها:

التفكر في خلق الله ﷻ،وإدراك معاني قصص الأنبياء والرسل وكذا ممارسة الطقوس الدينية، التي تقوي الإيمان ومنه اليقين وكذا قراءة آيات القرآن ومعرفة معانيها، والإكثار من الدعاء ،والإلحاح فيه، لأن في الدعاء سؤال لليقين وهذا ما قاله رسول الله ﷺ: "سلوا الله اليقين والمعافاة، فإنه لم يؤت أحد بعد اليقين خيرا من المعافاة"[1].

وكذا يقول : "سلوا الله العفو والعافية واليقين في الأولى والآخرة فإنه ما أوتي العبد بعد اليقين خير من العافية"[2].

كما ذكر في القرآن أن ما يقوي اليقين هو التفكر في آيات الله الكونية ومخلوقاته العظيمة وذلك من أجل معرفة عظمة الله تعالى وعظمة قدرته كقوله تعالى: ﴿**اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُم**

[1]– أبي عبد الله بن إسماعيل البخاري،الأدب المفرد، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، المطبعة السلفية ومكتبتها، القاهرة، مصر، د ط ، 1370، باب من سأل الله العافية، (724)، ص 187.

[2]– نقلا عن البيهقي، الدعوات الكبير، عناية بدر الدين عبد الله البرد، ، غراس للنشر، الكويت، ط1،2001 ، ج1، ص 369.

بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ﴾[1]، وكذا بقوله سبحانه جل وعلى: **﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ﴾**[2]، إذ نفسر من هذه الآية أن الله أوجد المعجزات هاته لكي يزيد إيمانا، ويقوي يقيننا بأنه قادر على كل شيء، وقد لا يستطيع النظر لهاته الآيات إلا عباد الله الصالحين المتيقنين، كما نجد في قوله تعالى: **﴿ وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُوقِنِينَ۞ وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ۞ وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ۞ فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ﴾**[3]، ففي هذه الآيات يدعو الله سبحانه وتعالى عباده إلى التفكر والاعتبار بالآيات والأنفس، لعلهم يوقنون، وهو شامل للتفكر والاعتبار بالآيات والأنفس وهو شامل للتفكر في الأرض وما عليها، والتأمل لمعانيها والاتعاظ بها لمعرفة عظمة الخالق، وسعة سلطانه، وإحاطة علمه بكل ما علن وما خفي،وكذا التفكر في النفس وهذا يدفع للعمل والعبادة بسكون نفس واطمئنان ،وراحة قلب، فالإنسان العاقل المتفقه، من جعل من ما هو موجود تذكرة وعبرة للاتعاظ والعبادة وطاعة الله ،وهذا يقوي فيه الإيمان، ويحبب له الطاعات، ويزد يقينه كما أمر الله عز وجل.

وقد اختلف فيه: هل هو كسبي أو موهبي؟ فقيل: هو العلم المستودع في القلوب يشير إلى أنه كسبي، وكذا هو زيادة الإيمان ولا ريب أن الإيمان كسبي والتحقيق: أنه كسبي باعتبار أسبابه، وموهبي باعتبار نفسه وذاته، وقيل فيه: اليقين

[1]– سورة الرعد، الآية (2).

[2]– سورة الأنعام، الآية (75).

[3]– سورة الذاريات، الآية 23/20.

لا يسكن قلبا فيه سكون إلى غير الله[1]، وقيل كذلك: "أنه على قدر قربهم من التقوى أدركوا من اليقين"[2].

[1]– ابن قيم الجوزية ، مدارج السالكين ، ص 414.

[2]– نفس المرجع ، ص 415.

الفصل الثاني:

اليقين كأساس عرفاني في التجربة الصوفية

المبحث الأول: اليقين وعلاقته بمعرفة الله الحقة .

المبحث الثاني: وسائل المعرفة اليقينية .

المبحث الثالث: الرياضات الصوفية الموصلة لليقين .

لقد علمنا أن اليقين يكون أما وهبي أو كسبي فلن يصل إليه إلا من كان قوي الإيمان عالما زاهدا معترفا بأن الله واحد أحد ، و لن يصل العبد إلى معرفته هذه إلا من خلال التجلي والكشف ، و باجتهاداته و تعبداته أي عن طريق معرفة الله الحقة و التي لا يصل لها العبد إلا من خلال الرياضات الصوفية التي تتيح له أن يتدرج عبر مقامات المعرفة ليصل لمقام اليقين ، فماهي علاقة اليقين بمعرفة الله الحقة ؟ و ما هي أهم الرياضات الموصلة لليقين ؟

المبحث الأول: اليقين وعلاقته بمعرفة الله الحقة

المطلب الأول: التوحيد ووحدة الوجود

1- التوحيد:

هو في اللغة مصدر من: وحد يوحد توحيدا، إذا أفرده وجعله واحدا[1]. ويعد من التعاليم والمعتقدات الراسخة في الدين ولا تتغير، إذ يتبعه الناس ليشهدون بربوبية الله الواحد الأحد والوجود بأكمله وهذا منذ أن عرف الإسلام والمسلمين وما جاء به ﷺوقد كان التوحيد عندهم يأخذ اهتماما، كبيرا إذ هو ما تبنى عليه سلوكاتهم ويفسرها، فاعتقدوا بتوحيد الله الواحد الأحد في ذاته وصفاته وأفعاله، كما نجد أن "للتوحيد ثلاث مراتب علم، وعين، وحق"[2] وهذا ما يلتقي به باليقين ومراتبه، ومن يشهد بان لا إله إلا الله هو من كان له يقين بأن الله واحد أحد وليس لديه شك في ذلك.

ويذكر "القشيري" في رسالته أن: "التوحيد هو الحكم بأن الله واحد، والعلم بأن الشيء واحد، أيضا بتوحيد قال وحدته إذ وصفته بالوحدانية"[3]،ويذهب "الجرجاني" في التعريفات على أن التوحيد "في اصطلاح أهل الحقيقة تجريد الذات الإلهية عن كل ما يتصور في الأفهام، ويتخيل في الأوهام والأذهان. والتوحيد ثلاثة أشياء: معرفة الله تعالى بالربوبية، والإقرار بالوحدانية، ونفي الأنداد عن جملة"[4] ويشرح هذا "جميل صليبا": "فإذا قلنا أنه تعالى واحد عنينا بذلك ،أنه منفرد الذات في عدم المثل

---

[1]- ابن منظور، لسان العرب، مج3، ص 448.

[2]-عبد المنعم حنفي، معجم مصطلحات الصوفية، ص 52.

[3]- ابو القاسم القشيري ،الرسالة القشيرية ، تحقيق عبد الحليم محمود محمد، دار الشعب للطباعة والنشر،القاهرة ، دط،1989 ، ص 492.

[4]- الجرجاني، معجم التعريفات، ص 62.

والنظير، وأنه لا يقبل التجزئ والانقسام، والتكثير، وأنه لم يزل وحده، ولم يكن معه آخر"[1].

فنجد في آياته ﷻ: ﴿ **قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَد ۞اللَّهُ الصَّمَدُ ۞لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۞ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ**﴾[2].

أما عند المتصوفة فهو: "التوحيد الذي انفرد به المتصوفة هو إفراد القدم عن الحدوث، والخروج عن الأوطان، وقطع المعاب، وترك ما علم وما جهل، وأن يكون الله تعالى مكان الجميع"[3].

وقد أعطى "ابن عربي" خمس مراتب للتوحيد: أولها شهادة الله لذاته أزلا وثانيها شهادة الملائكة بالتوحيد، أما ثلاثها شهادة العلماء بالتوحيد، ورابعها شهادة من آمن الناس تلبية لطلب ﷺ، وخامسها شهادة الكون بالتوحيد لله من حيث سريانه في الأشياء جميعا.[4] وقد أضاف الله سبحانه وتعالى إليه كلا من الملائكة، وأهل العلم، إذ تعتبر مرتبة العلم من المراتب المتقدمة في التوحيد لقوله تعالى: ﴿**شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيم**﴾[5]. وهذه الآية خير دليل على اشتراك شريف ونسبة وليس في الدرجة بين كل من العلماء والملائكة وخالقهم.

والعلم الذي نتحدث عنه له مستويان بالنسبة للبشر هما:

---

[1]– جميل صليبا، المعجم الفلسفي، ج1، ص 361.

[2]– سورة الإخلاص، الآيات من 1 الى4.

[3]– ابو القاسم القشيري ،الرسالة القشيرية ، ص495–496.

[4]– ابن عربي ،الفتوحات المكية ، 08، ص 230.

[5]– سورة آل عمران، الآية (18).

1. "**العلم العرفاني:** وهو يخص رسل ﷲ وأولياءه، حيث يعرفهم ﷲ حقيقة التوحيد بتجليه على قلوبهم، أي أنه التوحيد بتجليه عن طريق الكشف التجلي.
2. **العلم الاستدلالي:** وهو علم عقلي يمكن الوصول عن طريقه إلى التوحيد
3. هو يخص علماء الكلام والحكمة الإلهية، الذين يستعملون الأدلة في التوحيد، وهذا العلم أقل من مرتبة العلم الكشف، لاعتماده على العقل، والذي له حدود يقف عندها من حيث التفكير، وإن كان قبوله بلا حدود"[1].

ومنه نستنتج أن هناك تفرقة بين كل من العالم والعارف و "العارف هو صاحب العلم الرباني عند "الشيخ الأكبر"، أعلى مرتبة من العالم، لأنه أقرب في علمه بالله بالملائكة "[2].

2- وحدة الوجود:

يعتبر"ابن عربي" هو أول من وضع مذهب لوحدة الوجود لكن لم يكن أول من قال بها، إذ نجد أن وحدة الوجود تعني عند المتصوفة بصفة عامة "أن ﷲ هو الحق. وليس هناك إلا موجود واحد، وهو الموجود المطلق، أما العالم فهو مظهر من مظاهر الذات الإلهية، وليس له وجود في ذاته، لأنه صادر عن الله بالتجلي*[3]. وقد جاء هذا المذهب لينفي ثنائية الوجود التي يقسمونه إلى وجود واجب، ووجود

---

[1]- كرم ايمن كرم ، حقيقة العبادة عند محي الدين ابن عربي، ط1، دار الأمين، القاهرة، 1997، ص 114.

[2]- أنظر حقيقة العبادة، ص 115.

*- التجلي، هو الظهور والتجلي بالأسماء الإلهية، يكون لكل عارف حسب قدر مرتبته والفرد الجامع هو المحيط بجمع ذلك، والعارف يرى نفسه أن ليس ثم غيره يتجلى بتلك الأسماء والصفات إلا هو، وكل عارف على قدر مرتبته(نقلا عن أيمن حمدي موسوعة مصطلحات الصوفية، دار قباء للطباعة والنشر،القاهرة ، دط، 2000، ص 49.)

[3]- جميل صليبا، المعجم الفلسفي، ج2، ص569.

ممكن، ويقولون بأن الوجود واحد ومن بينهم "الشيخ الأكبر" إذ يقول: "فأثبت الكثرة في الثبوت وانفها من الوجود، وإثبت الوحدة في الوجود، وانفها من الثبوت"[1] ، وكذا نجد قوله[2]:

فلست غيرا له ، ولا هو لوحدتي في الوجود ثاني

إذ يعد أكبر دعاة مذهب وحدة الوجود، فقد جاهر بها، وسعى لنشرها، كما تبعها، وآمن بلوازمها من القول بوحدة الأديان، سقوط التكاليف، وغير ذلك، ولقد كرس "ابن عربي" حياته كلها لوحدة الوجود، فروض نفسه أولا حتى آمنت بوحدة الوجود، سالكا في ذلك الطريقة التي وضعها أئمة الصوفية، ثم نشرها بين الناس في حال إقامته وسفره، وقد استغرقت أسفاره جزءا كبيرا من حياته، وجعلها أصل من أصول طريقته الصوفية المسماة "الأكبرية" المنسوبة إليه، من حيث انه شيخ الصوفية الأكبر وهذا ما ظهر في كتاباته من مؤلفات، فتوحات، فصوص، تنزيلات والتجليات وغيرها [3] ، والتي نستخلص منها كذلك: "أن الوجود الحقيقي واحد وهو ﷲ، وإن كان هناك تكثر، ففي الأسماء والصفات لتعطي لنا صورة وجودية متغيرة ولكن في حقيقتها قديمة أزلية لا تتغير وهذه الحقيقة الوجودية إذا نظرت إليها من حيث ذاتها قلت هي: "الحق" وإذا نظرت إلى مظاهرها قلت هي "الخلق" من حيث أن الخلق لا حقيقة وجودية له، لأنه يستمد وجوده من الحق، فلا يتصف بالوجود إلا ﷲ.[4]

[1]– نقلا عن أحمد بن عبد العزيز القيصر، عقيدة الصوفية في وحدة الوجود الخفية، ط1، مكتبة الرشد ناشرون، الرياض، 2003، ص156 .

[2]– ابن عربي ، الفتوحات المكية، ج2، ص 502.

[3]– أحمد بن عبد العزيز القيصر، عقيدة الصوفية في وحدة الوجود الخفية ، ص 157.

[4] – كرم ايمن كرم ، حقيقة العبادة عند محي الدين ابن عربي، ص48.

ونجده يضيف: أعلم أن المعلومات ثلاثة لا أربع لها، وهي الوجود المطلق: الذي يتقيد وهو وجود الله تعالى والواجب لنفسه، والمعلوم الآخر العدم المطلق الذي هو عدم لنفسه وهو الذي لا يتقيد أصلا وهو المحال، والمعلوم الثالث: هو البرزخ الذي بين الوجود المطلق، والعدم المطلق وهو الممكن، وسبب نسبة الثبوت إليه مع نسبة العدم، هو مقابلته للأمرين بذاته.[1]

وهنا نستنتج أن الحق كما يبدلنا في تجلياته في وحدة الوجود خلقا، وهذا ما يسميه "ابن عربي " خلقا، ولذلك كانت للحقيقة الوجودية وجهان خلق و حق، وبهذا يستوجب إبعاد إدراك الله بالعقل، وإنما يكون اعتقاد يصاحبه إيمان، يليه يقين بوحدة ﷻ.

ونشير في ختام هذا المطلب إلى الفرق بين التوحيد ووحدة الوجود أن: "وجود العالم في مذهب التوحيد متوقف على وجود ﷻ، وأن وجود ﷻ غير متوقف على وجود العالم، على حين أن وجود كل منهما في مذهب وحدة الوجود، عين وجود عين وجودا لآخر اضطرارا، لأن نسبة ﷻ إلى العالم كنسبة الجوهر إلى اعراضه الجوهر واحد والأعراض متكثرة، ولكن لا جوهر بلا أعراض، ولا أعراض بلا جوهر، والتوحيد الجزئي ضد التوحيد المطلقة من جهة، وضد التعدد من جهة أخرى"[2].

[1]– ابن عربي، فصوص الحكمة، تحقيق وجمع وتأليف محمود محمود الغراب، مطبعة زيد بن ثابت، 2000، ص 45.

[2]– جميل صليبا، المعجم الفلسفي ،ج1، ص 361.

المطلب الثاني: الإتحاد والحلول

من العقائد القديمة التي نشأت في بعض الأديان الوثنية والفلسفات القديمة وبالأخص عند النصارى الذين حرفوا دين المسيح عليه السلام"وقد اختلفت الآراء في تحديد المراد بالحلول والاتحاد، فرأى فريق من الباحثين أنهما مترادفان متفقان في المعنى فالحلول عندهم اتحاد الله بخلقه، والاتحاد حلول الله بخلقه"[1] وبطبيعة الحال من التوافق يخلق التباين في تحديد المعنى، لذا كثرت التعريفات، واختلفت المقاصد وسوف نشرع بتوضيح الاتحاد تحليلا:

1- الاتحاد:

في اللغة نعني بالاتحاد أن يصير المتعدد واحدا، مصدر من اتحد يتحد يقال اتحد الشيئان أو الأشياء، أي صارت شيئا واحدا، ومادة (وحد) تدل – كما سبق– على الانفراد، والواحد: المنفرد في عدم المثل والنظير.[2]

وفي الصوفية بمعنى عام هو أن: "تميز ذاتين واحدة، وهو حال الصوفي الواصل، وقيل هو شهود وجود واحد مطلق من حيث جميع الأشياء موجودة بوجود ذلك الواحد معدومة في أنفسها، لا من حيث أن لها سوى الله تعالى وجودا خاصا به يصير متحدا بالحق، تعالى عن ذلك علوا كبيرا"[3]،وكذلك نجد تعريفا آخر للإتحاد الذي يراه على أنه: "هو شهود الوجود الحق الواحد المطلق الذي لكل موجود بالحق

[1]– أحمد بن عبد العزيز القصير، عقيدة الصوفية و وحدة الوجود الخفية ، ص 45.

[2]– ابن منظور ، لسان العرب، مج (03)، ص 446.

[3]– عبد المنعم حنفي، معجم المصطلحات الصوفية، ص 9.

فيتخذ به الكل من حيث كون كل شيء موجودا به معدوما بنفسه، لا من حيث أن له وجودا خاصا اتحد به فإنه محال"[1].

ولا تختلف رؤية "ابن عربي "عن الصوفية وعن ما ذاقه من سبقه وعاصره ولذلك فهو ينفي إمكانية الإتحاد، بل ويحذر من القول به و له في ذلك العديد من الأقوال و التي سنذكر نموذجين منها مما يسمح لنا بتقديم رأيه الذي ذكر فيه أنه: "فتفطن لهذا الواحد والتوحيد واحذر من الاتحاد في هذا الموضع فان الاتحاد لايصح فان الذاتين لا تكون واحدة"[2]، وكذا نجده يقول في المسائل:"إذا كان الاتحاد يصير الذاتين ذاتا واحدة فهو محال "[3] وفي قول آخر يوضح قائلا: "الاشتراك بين الخلق والحق في جميع الأشياء إلا في الإتحاد"[4].

وبهذا يكون "الشيخ الأكبر" قد رفض الإتحاد سواء كان هذا الإتحاد حقيقيا أو بالمعنى لأنه لا يجوز، ويدخله في دائرة المحالات، فمن المستحيل من تحدث بوحدة الوجود يشرك بها غيره، فنجده يقول[5]:

بغير اتحاد قلت: إني موحد وإني بما وحدت ذاتي موحد

2- الحلول:

في اللغة نعني بالحلول: النزول، مصدر حل، يحل: إذ نزل بالمكان، وأصل الحلول الحبال عند إنزال الأحمال: أي فتحها ونقضها[1]، ويرى "الجرجاني" أنه عبارة

---

[1]- عبد المنعم حنفي ، معجم المصطلحات الصوفية ، ص 10

[2]- ابن عربي: ابن عربي، رسائل ابن عربي ، وضع حواشيه محمد عبد الكريم النمري ، دار الكتب العلمية ،لبنان ،ط1 ،2001، (كتاب الألف) ص 39.

[3]- نفس المصدر ،(المسائل، مسألة 43) ، ص317.

[4]- نفس المصدر، (كتاب الشاهد)، ص203.

[5]- ابن عربي ،الفتوحات المكية ، ج4، ص 372.

عن كون أحد الجسمين ظرفا للآخر "كحلول الماء في الكون"[2]، نفس الشيء بالنسبة للمقصد المتصوفة فهو حلول الذات الإلهية في الذات البشرية،ودخولها فيها، فيكون المخلوق ظرفا للخالق بزعمهم.

قد نجد عدة تفاسير لمفهوم الحلول، وهذا راجع ما كان سائدا في الحضارات القديمة من تعاليم ومعتقدات وأساطير، فقد كان يخيل لهم هذا الأمر، إذ أن الذات الإلهية تنسجم مع العبد، وكذا تحل فيه وغيرها من الخزعبلات، لكن "ابن عربي" نجده يذهب لينفي هذه الحلول لأنه متيقن بأن ﷲواحد أحد، لا يعلو علوه احد، ولا توجد مثل هذه الأمور فقال في الحلول: "أنه كما تتجلى الشمس بنورها على القمر بدون حلول فيه، كذلك العبد ليس فيه من خالقه شيء، ولا حل فيه، وإنما هو مجلى له خاصة ومظهر له"[3].

وبطبيعة الحال أن من يقول بالتوحيد، ويرفض الاثنية، لا يقبل أن يتعارض مع ما قال به، كذلك "ابن عربي" لن يقول بالحلول من جهتين الأولى: لأنها تتعارض مع مذهبه، (وحدة الوجود) ومن جهة أخرى لأن هذا يعتبر كفر وزندقة وكذا خروج على ما جاء به القرآن الكريم، ويذهب "ابن عربي" إلى وجوب معرفة الإله والاكتفاء بما دون العبود إلى ما يدخل في المحال فيقول[4]:

فإن وجود الحق في قلب عبده ومالك من قلب فما ممن قلب
إلا أنه ﷲ الغني بذاته عن العالم الكوني أو عالم الحجب

[1]– ابن منظور، لسان العرب (11)، ص 163.
[2]الجرجاني، معجم التعريفات، ص 82.
[3]– ابن عربي ،الفتوحات المكية ، ج2، ص 659.
[4]– نقلا عن كرم امين كرم ، حقيقة العبادة، ص 31.

ويوضح "الشيخ الأكبر" أن: "الحقيقة الإلهية تشاهد في ذات العبد بذاته في كل وقت"[1]

ومنه يتضح لنا انه لا يجب على العارف أن ينغمس في شكوك وأوهام، وأن يتوقف، ويكتفي بالمعرفة الإلهية دون سواها، وأن يقوي معرفته بالله، وهي التي تهبه إشراقا، وإلهاما، ونور للقلب وهذا الأخير، هو موطن العلم الإلهي والسر واليقين.

المطلب الثالث: الفناء والبقاء

1- الفناء:

هو سقوط الأوصاف المذمومة كما أن البقاء وجود الأوصاف المحمودة والفناء فناءان: أحدهما: ما ذكرنا وهو بكثرة الرياضة، والثاني: عدم الإحساس بعالم الملك والملكوت وهو: بالاستغراق في عظمة البارئ ومشاهدة الحق، وإليه أشار المشايخ بقولهم: الفقر سواد الوجه في الدارين يعني الفناء في العالمين.[2]

وهذه الظاهرة هي أوج الحياة الباطنية وأشدها تمييزا، وتمهد لها في العادة باقي الأحوال والمنازل الروحية وهذه المرحلة "هي تصحب أو تسبق المعرفة الصوفية بأشكالها المختلفة، وخصوصا المشاهدة والفناء، فشأنه شأن كل الكرامات ليس ثمرة ضرورية ونتيجة لازمة عن إعداد الشخص"[3] ومنه يوضح "بلاثيوس"*: أن ابن "عربي يرى" بل ويؤكد "أن كل الظواهر الإمتثالية والإنفعالية التي تصحب أو

---

[1]- كرم امين كرم ، نفس المرجع ، ص 31.

[2]- الجرجاني ، معجم التعريفات، ص 142.

[3]- ميجيل أسين بلاثيوس، ابن عربي حياته ومذهبه، ص 221.

* ميجيل أسين بلاثيوس مستشرق ولد سنة 1871 بسرقسطة بإسبانيا اهتم بالصوفية وخاصة الغزالي وابن عربي وابن حزم (بلاثيوس، ابن عربي حياته ومذهبه، ص 11).

تسبق الفناء تتميز بالمفاجأة في الظهور، وهذا دليل بين على أن النفس ليس لها دور في نشأته بل هو: فضل وموهبة من الله، يمنحها كما يشاء، ولمن شاء"[1].

2- البقاء:

"هو قيام الأوصاف الخيرة والنية الصادقة للسالك وللمريد الصادق"[2]، والباقي بحظوظ غيره بأن يفنى عن حظوظه، والباقي بالحق الفاني عن نفسه، يفعل لا لجر منفعة أو دفع مضرة ولا لذة نفسه، ولا لطمع ثواب ولا خوف عقاب، غير أنه يرغب في ثواب الله لموافقة الله تعالى أي أن الإنسان الصادق المتصوف يبتعد عن كل ما هو مذموم لا لصالح نفسه أو غرض يخدمه بل لنيل رضا الله تعالى دون سواه وبهذا يكون الإنسان راض، ومتيقن بأن الدنيا فانية، وأن كل شيء من الله، ولله وراجع لله لا إله إلا إياه.

ويرتبط الفناء بالبقاء ليشكلا وحدة واحدة، بحيث يصير الأول يكمل الثاني بحيث أن العبد الذي لم يشتغل بالدنيا، بقي فيها على طريق الحق واهتم بالآخرة وابتعد عن زخرف الحياة الدنيوية، وهذا راجع إلى إيقانه بأن لا أحد يحل محل الله فعمل لكي يرضيه وحده، لذا يقال: "فنى عن الخلق، وبقي بالحق، أي فنى عن بشريته،وبقى مع الله ولله وفي الله بروحانيته"[3].

المطلب الرابع: علاقة اليقين بمعرفة الله الحقة

سبق وأن أشرنا غلى أن الذات الإلهية تقبل، إذا كانت تقبل الحلول في الأجساد، فبالضرورة تقبل الإتحاد، ومن هذا نستنتج تجلي صورة اليقين في نظرية

[1]- ميجيل أسين بلاثيوس، ابن عربي حياته ومذهبه ، ص 221.

[2] - حسن الشرقاوي ، معجم ألفاظ الصوفية، ص 227.

[3]- نفس المرجع، ص 228.

وحدة الوجود، ومن خلالها أيضا نخلص إلى أن اليقين يجمع بين المتناقضات في الوجود الكلي، لأنه أصبح نقطة اتصال بين الحق والخلق، الواحد والكثير، وبين الظاهر والباطن.

كما يجب أن نوضح أنه الوجود الحقيقي؛ هو فقدان العبد أوصاف البشرية وجود الحق؛ لأنه لا وجود للبشرية دون ظهور اليقين الذي تتجلى في معرفة الله التي نفى من خلالها "ابن عربي" الحلول والإتحاد، والتي ينبغي أن يطلبها العارف الذي ينتقل عن طريق مراتب اليقين، التي سبق وأن أشرنا لها في الفصل الأول[1] من البحث وبطبيعة الحال فهي لا تكون لأي كان، بل لمن خصهم الله بذلك الإشراف الذي ينور القلب، حتى يصل إلى أعلى درجة، وهي أعلى المراتب، وأشرفها، وليس كل المؤمنين على درجة واحدة من اليقين، فاليقين عند الأنبياء ليس كمثله عند الأوصياء أو العلماء.

واليقين مرتبط أشد الارتباط بمعرفة ﷲ الحقة، كما يجسدها" ابن عربي" في مذهبه، وحدة الوجود ورفضه للإثنية ورفض الحلول، واليقين يكون بالقلب، وعلى ضعف إيمان القلب يضعف اليقين، بمعرفة الله ،وبشدة الإيمان تشتد معرفةﷲ،وهذا ينتج عليه تقصير العبد عن واجباته الدينية التي يتبعها نقص في الأعمال، ولذا قد نجد من يصل إلى مرتبة أقل من غيرها في اليقين ويجازى على قدرها (عين اليقين/ حق اليقين/ علم اليقين).

ومن مظاهر الوصول لليقين في معرفة ﷲ قيام العبد بالحق عند الفناء عن نفسه، وهو ما يسمى بـ "الولاية": "وهي قيام العبد بالحق عند الفناء عن نفسه وذلك

[1]– أنظر الفصل الأول: مراتب اليقين.

بتولي الحق إياه حتى يبلغ غاية مقام القرب والتمكين"[1] وهكذا يتم الوصول إلى المرتبة التي يكون فيها القلب خاشعا لربه من عمق اليقين الذي كسا قلبه الذي اصطفاه به ﷻ،وهو ما يعبر عنه بسجود القلب الذي هو فناؤه في الحق عند شهوده إياه، بحيث لا يشغله، ولا يصرفه عنه استعمال الجوارح.[2]

ويمكن أن يكون هو "الوصل"، وهو نفسه الفناء، وهو "فناء العبد بأوصافه في أوصاف الحق، وهو التحقق بأسماءه تعالى المعبر عنه بإحصاء الأسماء.[3]

وبهذا نخلص إلى المعرفة الصوفية، التي تبحث للوصول إلى الحق، ليست بمكتسبة ولا فطرية، وإنما تكون على حسب يقين العبد بربه وبوجوده وبما آمر به ونهى عليه، وهي لا تبتعد عن كتابه وسنة رسوله، إذ من يخرج عنهما يعتبر زنديقا ولهذا نجدها تتمثل عند الصوفية بالإتحاد والحلول ووحدة الوجود التي تعتبر مذهبا أساسيا "لابن عربي" الذي ينفي حلول ﷻ في مخلوقه، وكذا يرى أن اليقين هو أساس وغاية كل عارف، ومنهجا لتحقيق طمأنينة النفس وراحتها، وبه يصل العارف المتيقن إلى أعلى المراتب، ويتحقق الاتصال بالله والبقاء في الحضرة الإلهية.

---

[1]– القاشاني: معجم اصطلاحات الصوفية ، تح عبد العال شاهين،دار المنار،القاهرة ،ط1992،1، ص79.

[2]– نفس المرجع ، ص 79.

[3]– نفس المرجع ، ص 77.

المبحث الثاني: وسائل المعرفة اليقينية

المطلب الأول: الذوق

يختلف المصطلح من مجال لآخر وحسب الموضوع الذي يتناول فيه لكنه عند الصوفية هو: "نور عرفاني يقذفه الحق بتجليه في قلوب أوليائه، يفرقون به بين الحق والباطل، من غير أن ينقلوا ذلك من كتاب أو غيره"[1]، وهذا ما اتفقت عليه المعاجم، إذ يعتبر هذا التعريف الشامل والمناسب لمقصد المتصوف من الذوق

وكما تم توضيح أن العلوم الذوقية تختلف عن الوهبية، فالصوفية يتكلمون عن الشرب والري والمشاهدة والمكاشفة والمحاضرة، وهذه كلها معارف وأسرار لا تخضع لمنطق العلم بالمعنى العام، إذ أن المدار هنا على القلب"[2]، ونشير إلى أن "أهل الذوق من تكون أحكام تجلياتهم نازلة من مقام أرواحهم وقلوبهم إلى مقام نفوسهم وقواهم، كأنهم يجدون ذلك حسا ويدركونه ذوقا، ويلوح ذلك من وجوههم"[3].

وفي مقدمة كتاب "الفتوحات" استهل بباب مراتب العلوم والتي كانت تعني الذوق، فقسم مراتب العلوم إلى ثلاث: علم العقل، وعلم الأحوال، وعلم الأسرار: فعلم العقل: "وهو كل علم يحصل لك ضرورة أو عقيب نظر في دليل بشرط العثور على وجه ذلك الدليل، وشبهه من جنسه في عالم الفكر الذي يجمع ويختص بهذا الفن من العلوم، ولهذا يقولون في النظر: منه صحيح، ومنه فاسد"[4].

---

[1]– جميل صليبا، المعجم الفلسفي، ج1، ص 599.

[2]– حسن الشرقاوي ، معجم ألفاظ الصوفية، ص 145

[3]– عبد المنعم حنفي ، معجم المصطلحات الصوفية، ص 104.

[4]– ابن عربي ، الفتوحات المكية، ج1، ص 139.

أما عن مقصده بعلم الأحوال الذي يربطه بالذوق قائلا: "والعلم الثاني علم الأحوال ولا سبيل إليها إلا بالذوق فلا يقدر عاقل على أن يجدها، ولا يقيم على معرفتها دليلا البتة، كالعلم بحلاوة العسل ومرارة الصبر"[1]، ويرى أن هذه العلوم يصعب معرفتها وإدراكها والسليم بها إلا من خلال تجربتها وتذوقها.

أما عن العلم الثالث فهو علم الأسرار، " الشيخ الأكبر" أن هذا العلم هو: "العلم الذي فوق طور العقل وهو علم نفث روح القدس في الروح يختص به النبي والولي"[2].

وبهذا يكون على حسب "ابن عربي" أنه من يريد الوصول إلى معرفة الحق هو من يسمو إلى معرفته عن طريق الذوق، لا عن طريق الحس والعقل وبهذا يكون الذوق: هو الموصل للمعرفة الإلهية دون سواه، وعندما يتجلى للعبد العارف اليقين التام، إما بنور البصيرة أو بالحدس، ونقلا عن معجم مصطلحات الصوفية "للقاشاني" الذي يذكر رؤية صاحب اللمع أن الذوق هو: "ايتاء الشرب، أي تلقي الأرواح للأسرار الظاهرة من الكرامات وخوارق العادات".

وبهذا يكون الذوق طريق للإيمان، لأن الإيمان هو الذي يجمعه إلى الله وبالله وكما يقول بعض الصوفية: "من وافق الله فهو المؤمن المتوحد، ومن وافق الأشياء فرقته الأهواء"[3]، وبطبيعة الحال مع الإيمان يكون هناك حضور لليقين، لأنه بالإيمان يحدث اليقين –متساويين– لا يمكن فصل أحد عن الآخر.

[1]– ابن عربي ، الفتوحات المكية ،ج1 ، ص 139.
[2]– نفس المصدر ، ص 140
[3]– نفس المصدر ، ص 147.

المطلب الثاني: الكشف

"يقال كشف الشيء كشفا بمعنى أظهره، ورفع عنه ما يواريه،ويقال كشف عن الهم أي أزاله"[1].

وكذلك هو: "الاصلاح على وراء الحجاب من المعاني الغيبية والأمور الحقيقية وجودا وشهودا"[2] وهذا التعريف يخص المتصوفة، إذ يقصد بالحجاب حجاب الظلمة، وهذه "مكاشفة لا بعين البصر، ولكن بعين البصيرة"[3].

كما أننا نجد أن هذا المصطلح ذكر في القرآن في آيات كثيرة نذكر منها: **﴿لَّقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾** [4] ونذكر كذلك قوله جل وعلى: **﴿بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِن شَاءَ وَتَنسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ﴾**[5].

وقد جاء في الرسالة القشيرية حول تفسير الحجاب (حجاب الظلمة) أن "الحجب الظلمانية التي تحول بين القلب ورؤية الحقائق، هي الشهوات وعلائق الدنيا، بل رؤية الإنسان لنفسه، وإحساسه بأنه، كائن موجود...."[6] ولا بد للعبد: أن يسعى ليزيل هاته الشوائب، التي تكدر النفس، وتفزع القلب، وتقلق راحة العقل وصفوته، وهذا لا يمكن إلا بتطهير القلب من الشهوات والنزوات وحب الدنيا وملاذها، إذ يقال في هذا المقصد: "فلا بد له لتنقشع الحجب الظلمانية على عين

---

[1]– حسن الشرقاوي، معجم الألفاظ الصوفية، ص 242.

[2]– عبد المنعم حنفي،معجم المصطلحات الصوفية، ص 225.

[3]– حسن الشرقاوي، معجم ألفاظ الصوفية ، ص 242.

[4]– سورة ق ، الآية 22.

[5]– سورة الأنعام ،الآية 41.

[6]– عبد الرزاق القشيري ، الرسالة القشيرية ، ص 40

القلب، إن يتطهر من شوائب الحس، وإدران المادة، ويسلك سبل المجاهدة حتى يبلغ مرتبة الفناء"[1].

ونجد أن مصطلح الحجاب عند "ابن عربي" ليس مجرد استعارة أو لعبة لغوية يستعملها للتعبير عن استحالة أو عسر الاتصال بالحق، بل هو أحد المفاهيم المركزية في مذهب وحدة الوجود، حيث ينظم هو ومشتقاته كالتحجب والانحجاب والاحتجاب، ومرادفاته كالستر والخفاء والغطاء والغيب، ومقابلاته كالتجلي، والكشف والظهور العلاقة الصميمية بين الحق والعالم، وبين الإنسان والحق"[2]. ومن خلال جدلية الحجاب ، والكشف ترتكز على فكرة استحالة أن يبقى اللّٰهُ مستتراً، أن يظل غيبًا، مطلقًا بل لا بد له أن يتجلى عن أن التجلي كثرة، مما يعني حجب الوحدة، الذي يجعل التجلي يتلبس بالحجاب، فكل تجل لله هو حجاب لذاته؛ بمعنى أن الحجب تتعدد بحسب تعدد التجليات....

ويدرج في إحدى المعاجم أنه: "الكشف الحق: هو الذي لا يعارض الكتاب والسنة والمريد الصادق، الذي يدع الكشف، ويمسك بالكتاب والسنة، والله سبحانه وتعالى ضمن للإنسان العصمة في الكتاب والسنة، ولم يضمنها عن طريق الكشف ولا الإلهام، ولا الرؤى، ولا المشاهدة، وإذ لم يوافق الكشف الشريعة فلا ينبغي العمل به، وهذا رأي الصوفية"[3].

[1]– القشيري، المرجع نفسه، ص 41.

[2]– محمد المصباحي، نعم ولا الفكر المقتنع عند ابن عربي، ط1، الدار العربية للعلوم، بيروت، 2012، ص 214.

[3]–القاشاني ، معجم ألفاظ الصوفية، ص 242.

المطلب الثالث: الوجد

نجد أن كلمة الوجد، تنتمي للحقل الدلالي للوجود، والوجد والتواجد، إذ تستخدم كلها لمعنى واحد، ويستخدمها الصوفية دلالة على سكر وتساكر، وهو من الحزن[1].

ويقال في الوجد أنه: "خشوع الروح عند مطالعة سر الحق، وقيل عجز الروح من احتمال غلبة الشوق عند وجود حلاوة الذكر، وقيل مصادفة الباطن من الله تعالى وأردا يورث فيه حزنا أو سرورا، أو يغيره عن هيئته، ويغيبه عن أوصافه بشهود الحق"[2].

وهو "ما يصادق القلب من الأحوال المفنية له عن شهوده، وهو حزن مما يجده المحب من الهموم، فالمحب ،عندما يرد من مشاهدته في عالم الفناء عن الإحساس المعتاد في عالم الشهادة، حيث كان مؤنسًا ضاحكًا، في سرور وغبطة وحبور، عندما يرد إلى إحساسه ومشاهدة عالم الضيق والحرج، وفراق تلك الفسحات والفرح العلوية والمسارح تأخذه الوحشة لتلك الفرقة، ويصير عبوسًا مهمومًا مغمومًا"[3] إذ أن المشاهد عندما يفارق مشاهداته، ويلحظ الفرق بين النعم والحياة الدنيوية يحس بالكدر ويغلب عليه طابع الحزن لذا فإن: "المحب إذا رجع إلى علم الكون بعد أنسه بتلك العين المقدسة، والشهود الأقدس يجد من الألم مثل ما يجده المتعشق عند نزول الموت، ومفارقة المألوفات التي كان يأس بها فلم يجد رؤية أعظم من المنية

[1]– القاشاني ، معجم ألفاظ الصوفية، ص 281.

[2]– عبد المنعم حنفي ، معجم مصطلحات الصوفية، ص 264.

[3]– محي الدين ابن عربي، الحب والمحبة الإلهية جمع وتأليف محمود محمود الغراب، ص 98.

لمن لا يحب المفارقة، ومعاينة أسباب الوقت التي هي كرباته وغمراته أعظم من الموت، فيؤثر ذلك في المحب النحول والهيمان والسقام والغرام ثم اجتماع الفراق"[1].

المطلب الرابع: علاقة اليقين بوسائل المعرفة الصوفية

وهذا يكون نتيجة لسعي الصوفي لإقامة عالم ذاتي لا يتجلى إلا بالكشف مبتعدًا عن استخدام العقل والحواس، وإعمال القلب وحده مع الحدس، ومحاولة لإقامة علاقة توصل بالحق الذين يرون أنه بهذا قد كشفوا الحجب طالبين الفناء وهذا من أجل تحقيق شيء واحد ألا وهو اليقين التام.

ويرى "ابن عربي" أن أهل التصوف لهم أصولهم التي يتفقون عليها وإن اختلفت عباراتهم ،واختلاف هذه العبارات أمر ضروري، وذلك لاختلاف أذواقهم، فكل واحد يعبر عما يشاهده حسب ذوقه، وهو لا يتصنع ولا يتكلف ولا يستمد شيئا من فكره لتحقيق هذه الغاية، فنطقهم لا يتعدى ذوقهم"[2].

والعلم اليقيني: الذي هو أعلى مراتب اليقين ليس فطري ولا هو كسبي، وكما أشرنا سابقا، هو وهبي يبثه الله في قلوب عباده، الذين تضرعوا له بالعبادة، وخصوه بالمحبة وحده، لا شريك له، وآمنوا بما أنزل إليهم بحيث يسكن العبد ولا يغادره، لأنه أصبح مستقرًا في حاله دون أن يتبعه شك ولا تفكير في الابتعاد أو النظر في مسألة غيره.

---

[1]– ابن عربي، لوازم الحب الإلهي تحقيق وتعليق موفق فوزي الجبر، ط1، دار معد للطباعة والنشر والتوزيع، سورية، 1998، ص 89–90.

[2]– محمود قاسم، موقف ابن عربي من العقل والمعرفة الصوفية، محاضرة عامة ألقيت بجامعة أم درمان بالسودان، مكتبة مخيمر ،مصر، دط، 1969، ص 17.

وبما أن المعرفة هي: عبارة عن مرحلتين يجب على العارف أو المتصوف أن يبلغهما أو نقول نظريتين: أولهما: "النظرية العقلية العلمية الأولية وهي التي بها يدخل الباحث به في تصوفه، بعد أن يكون قد استعمل عقله النظري في ملكوت السموات والأرض بالبحث والنظر.

ونظرية ذوقية وجدانية: وهي تعد الناتج من دخوله في التصوف من بعد نظره العقلي العلمي[1]، وبهذا تكون المعرفة الصوفية مختلفة عن المعارف الأخرى لأنها تختص كما قلنا بالذوق بعد أن يمارس المتصوف تجربته الصوفية ويعايشها ويتلذذ بها لكي يتصل بالحق ويعبر الحقيقة، وهي التي يعتبرها طريقة لليقين؛ لأنها تزيل عنه غشاوة الجهل، والظلمات، وتأخذه إلى عالم القدسية عن طريق الكشف والمشاهدة وأن يتبع العارف المريد القرآن لأنه الوحيد الموصل للحق ولليقين، وهذا عن طريق زيادة الإيمان والتعبد وهذا ما قاله ﷻ في الآية الكريمة: ﴿**كَمَا أَنزَلْنَا عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ** ﴾[2] .

وبهذا يصل الباحث إلى أن المعرفة الصوفية في خطها الأساسي منطلقة من العقل العلمي، وإن أداة المعرفة فيها قد تكون حسية أو عقلية، أو وجدانية، أما المعرفة الواردة بعد التحول في التصوف كطريقة والتي؛ هي الواردات الإلهية، أو العلوم الوهبية، فإن أداتها القلب، وتكون هذه المعرفة يقينية إذا تطابق ما في هذه المعرفة مع القرآن الكريم.[3]

[1]– يوسف محمود محمود ، أسس اليقين بين الفكر الديني والفلسفي، ص 324.

[2]– سورة الحجر ،الآية 90.

[3]– يوسف محمود محمود ، أسس اليقين بين الفكر الديني والفلسفي ، ص 335.

المبحث الثالث: الرياضات الصوفية الموصلة لليقين

وقبل أن نتدرج في مطالب هذا المبحث يتوجب علينا أن نوضح ما معنى الرياضات الصوفية إذ نستهل مطلبنا هذا بتعريف موجز لمعناها من كتاب" مدارج السالكين" يقول" الرازي "عنها: "هي تمرين النفس على قبول الصدق"[1] أي أن الرياضة؛ هي رياضة النفس، وترويضها على الإخلاص ودرجاتها ثلاث وهي: "رياضة عامة، وهي تهذيب الأخلاق بالعلم وتصفية الأعمال بالإخلاص، وتوفير الحقوق في المعاملة[2]، وثانيها من الدرجات هي: "رياضة الخاصة حسم التفرق وقطع الإلتفات إلى المقام الذي جاوره، وإبقاء العلم يجري مجراه"[3] والدرجة الثالثة والأخيرة هي: "رياضة خاصة الخاصة: وهي تجريد الشهود، والصعود إلى الجمع ورفع المعارضات، وقطع المفاوضات"[4] وهذه الأخيرة ملاذ كل صوفي باحث عن الحقيقة.

المطلب الأول: الزهد

زهد في الشيء وعن الشيء، يزهد، زهدا وزهاده بمعنى؛ أعرض عنه، أو غير راغب فيه، فهو زاهد، وهم زاهدون[5] أي أنه، استغنى عن ميله عن شيء محدد والزهد في اصطلاح أهل الحقيقة: "هو بغض الدنيا والإعراض عن شهواتها وهذا المعنى قريب من معنى التقشف، لأن؛ التقشف ترك الترفه والنعمة، ومحاربة النفس في سبيل الوصول إلى الكمال الأخلاقي"[6]، أي أن يترك العبد كل ملذات الدنيا

[1]– ابن قيم الجوزية، مدارج السالكين، ص 216.

[2]– نفس المرجع ، ص 217.

[3]– نفس المرجع ، ص 218.

[4]– نفس المرجع ، ص 219.

[5]– حسن الشرقاوي: معجم ألفاظ الصوفية، ص 168.

[6]– جميل صليبا، المعجم الفلسفي ،ج1، ص 240.

ويترك التفكير في السعادة الدنيوية بحثا عن سعادة الآخرة، ويقال أن الزاهد: هو ترك حظوظ النفس من جميع ما في الدنيا أي لا يفرح بشيء منها، ولا يحزن على فقد، ولا يأخذ منها إلا ما يعينه على طاعة ربه، مع دوام الذكر، والمراقبة، والتذكر في الآخرة لذلك قيل: "الزهد ترك راحة الدنيا طلبا للآخرة"[1] وفي نفس المعنى والتفسير يعرفه "الرازي" قائلا:"هو عدم الالتفات إلى الدنيا بحذافيرها مالها وجاهها وشهواتها، وزينتها، وزخارفها، رغبة في الآخرة ،ونعمها الباقية"[2].

وقد قال تعالى: ﴿ **تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ**﴾[3]، فالزهد رأس مال المريد الراغب في الوصول لحضرة الحق تعالى والتنعم بجلال حضرته، ومن القائلين بالزهد الجنيد الذي يذكر؛ أن "الزهد خلو الأيدي من الأملاك، والقلوب من الشبع"[4].

ومنه فالزهد: هو ترك كل ما سوى ﷲ، فالله تعالى إذا ما رضي عن عبد بعث في نفسه حب كل شيء سواه؛ أي أنه يشغله بالملذات، والشهوات، فيبتعد العبد عن طريق الحق، وينشغل بلهوات الدنيا، وينقلب إلى غير طريق الله على عكس الزاهد؛ الذي يبيع الدنيا وما عليها، كي يصل إلى مقام عال من الإيمان، ليصل إلى رضا الله، وتتحقق لديه المعرفة الإلهية.

---

[1]– جميل صليبا، المعجم الفلسفي ،ج1، ص 241.

[2]– الرازي ، منارات السائرينومقامات الطائرين، ص 360.

[3]– سورة القصص الآية 83.

[4]– نقلا عن الكلابذي، التعرف لمذهب أهل التصوف ، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان ، ط1، 1993 ، ص 109.

المطلب الثاني: الذكر والعبودية

1- الذكر:

للذكر عند المتصوفة معاني كبيرة، وفضائل عظيمة، ومدلول رائع، فهو عبارة عن حقيقة وهذه الحقيقة هي: "أن تنسى ما سوى المذكور في الذكر"[1]،وقيل في "الرسالة القشيرية" أن: "ذكر الله بالقلب؛ سيف المريدين به يقاتلون أعداءهم، وبه يدفعون الآفات التي تقصدهم، وإن البلاء إذا أظل العبد فإذا فزع بقلبه إلى الله تعالى يجيد عنه في الحال كلما يكرهه"[2].

ويقول" ابن عربي" في "الفتوحات المكية" أن الذكر نعت إلهي، وهو نفسي ومليء في الحق، وفي الخلق ومع كونه نعت إلهيا؛ فهو جزاء ذكر الخلق[3]، وقد أمر الله تعالى عباده بالذكر كقوله:﴿**فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ**﴾[4].

وقوله تعالى: ﴿ **وَاذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ الْغَافِلِينَ**﴾[5] إذ أن الذكر يكون بين العبد وربه يكون من باطن النفس، لا ظاهرها، وكذلك نجد قوله تعالى:﴿ **الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ**﴾[6] وهنا ربط الله الذكر بسكون النفس، واطمئنانها لأن العبد الذاكر، يعرف ندى صلته بالله، وهذا موصول بيقين العبد ووثوقه بمنزلة الله عز وجل لأن الذكر هنا يكشف الحقائق، ويحقق الأحوال

---

[1]- الكلايذي، التعرف لمذهب أهل التصوف ، ص 122.

[2]- عبد الرزاق القشيري ، الرسالة القشيرية، ص 195.

[3]- ابن عربي ،الفتوحات المكية ،ج2 ، ص 339.

[4]- سورة البقرة، الآية 152.

[5]- سورة الأعراف ،الآية 205.

[6]- سورة الرعد ، الآية 28.

عند الصوفي الذاكر ويتجلى له أن الله تعالى يذكره ،ويظهره مظهر الزاهد العابد الذاكر.

2- العبودية:

نستهل هذا الجزء من البحث بالآية الكريمة ﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾[1] وهذا دليل على ارتباط العبادة باليقين ومنه فالعبودية تكون لخواص المؤمنين: "وهي ترضى بما يفعل ربك، وقيل العبودية أربعة: الوفاء بالعهود، والرضا بالموعودوالحفظ للحدود، والصبر على المفقود"[2] ونجد كذلك قولهم "العبودية ثلاثة: منع النفس عن هواها، وزجرها عن مناما، والطاعة في أمر مولاها"[3]، وتعتبر العبوديةمن أهم الرياضات الصوفية الموصلة لليقين، والتي تدفع العبد لضرورة التعبد لمن لا يعبد أحد سواه "واعلم أن العبود من أكمل مقامات الروح، لأنه أول عبد عبد ﷲ مخلصا حين لم يكن شيء مع ﷲ يعبد الله أو يعبد له من دون ﷲ"[4].

وقد نجد لفظ العبد يندرج كثيرا في مؤلفات الصوفية، وهذا لأن لفظ العبد مرتبط بالعبودية، ودلالة على مقامها، مقابل الرب في مقام الربوبية، ويقولون: "العبد في تكفير، والرب في تدبير، فدبروا ألا تدبروا"[5] والعبد الصالح: هو الذي توكل على على الله، وأسقط التدبير مع ﷲ، فلم يجد غير الله وكيلا، ولم يعبد سواه في ظاهرة وباطنه، فالله نصيره وحافظه، والعبد الصالح هو العبد الشاكر في الابتلاء، الصابر على الجفاء، المحب بلا رجاء، الراضي في كل الأحوال والأوقات، وهذا مضمون

[1]- سورة الحجر، الآية 99.

[2]- عبد المنعم حنفي، معجم المصطلحات الصوفية، ص 183

[3]- نفس المرجع ، ص 183.

[4]- الرازي، منارات السائرين ومقالات الطائرين، ص 477.

[5]- حسن الشرقاوي، معجم ألفاظ الصوفية، ص 207.

بييقين أن يصل إلى كل هذا فيصبح العبد بعبوديته، قد وصل إلى أشرف المقامات الصوفية ألا وهي اليقين التام.

المطلب الثالث: المجاهدة

تعتبر المجاهدة هي المرحلة الانتقالية التي ينتقل فيها الزاهد من زهده، وتركه مغريات الدنيا إلى المجاهدة ؛التي تزيد في تقربه من الله بحيث مجاهدة النفس: هي "أن لا تأكل إلا عند الفاقة، ولا تنام إلا عند الغلبة، ولا تتكلم إلا عند الضرورة"[1] وفي باب المجاهدة بالنفس، نجد قوله تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ**﴾[2].

وتعد المجاهدة: هي السبيل الوحيد لبلوغ طريق الحق، والإلمام بالحقائق وانكشاف الأسرار أمام المريد، فلا كشف بدون مجاهدة ومكابدة نفسية وجسدية فيقول فيها "ابن عربي"[3]:

سبح إلهك بكرة وأصيلا فالنعل يرجع بالهدى إكليلا
جاهد هواك ولا تكن ذا فترة فيه كن للنائبات خليلا
إن المجاهد لا يزال مكابدا يهوى الخطوب ويعشق التعليل

وكذلك نجده يقسم المجاهدة إلى أربعة أصناف: أولهم المجاهدون بغير تقييد أما الصنف الثاني: مجاهدون بتقييد، والصنف الثالث: المجاهدون في الله، أما

[1]– حسن الشرقاوي ، معجم ألفاظ الصوفية، ص 252.
[2]– العنكبوت الآية 69.
[3]– ابن عربي ،الفتوحات المكية ،ج2، ص 214.

الصنف الرابع والأخير: هم المجاهدون في اللهحق جهاده، فيميزهم عن المجاهدين من غير هذا التفسير، كالذين يتقون الله حق تقاته، ويتلون الكتاب حق تلاوته[1].

المطلب الرابع: علاقة اليقين بالرياضات الصوفية

تعد الرياضات الصوفية غاية كل متعبد زاهد، مجاهدا لنفسه؛ إذ يسعى من خلالها وتطبيقها إلى الوصول إلى الحق، والترقي والترفع إلى المقامات الشريفة التي تجعله مخلصا، يتحلى بالمعرفة الصوفية، والتي يبتعد من خلالها على مغريات الدنيا، وشهوات النفس، وبالمجاهدة تصفو النفس إلى بلوغ الراحة والاسترخاء، وهذا لا يكون إلا بذكر الله وعبوديته اللذان، يصحبهما اطمئنان وسكينة للقلب.

فالزهد وسيلة للوصول إلى اليقين، حيث يتحدث عن هذا ابن" قيم الجوزية "إذ يقول فيه: "هو بثلاثة أشياء باستحضار ما زهدت فيه، استواء الحالات عندك والذهاب عن شهود الاكتساب ناظرا إلى وادي الحقائق[2]، وبهذا –الزهد– يتحقق النظر للحق تعالى، ومشاهدته يقينا بغير شك.

ومن بعدها يأتي الذكر: الذي يروض النفس البشرية، ويجعلها في علاقة تواصل مع الحق، مستغينة عن موجوداته، متأملة في خلقه، ومعجزاته، متفكرة في آياته، مقيمة لحدوده، ومنه يكون اليقين؛ الذي يتحقق بتربية النفس، وترويضها وكذا بالإخلاص في العبادة؛ ليصل بذلك الصوفي بعد الزهد، والذكر، والعبودية والمجاهدة إلى الكمال الذي هو غاية كل متعبد زاهد، مستغني عن الدنيا طالبا مناجاة الله ومتيقنا بالآخرة والنعيم.

[1]– ابن عربي ،الفتوحات المكية ،ج2، ص 215.

[2]– ابن قيم الجوزية، مدارج السالكين، ص 331.

يقول" ابن عربي": إنما القلب الإنساني عن الحقيقة الجامعة بين الأوصاف والشؤون الربانية، وبين الخصائص والأحوال الروحانية والطبيعة"[1] ومنه ينشأ نوع من العلم الصوفي، الذي يجمع بين الذوق، والكشف وبين مجاهدة النفس ،والزهد في الدنيا تحقيقا لليقين.

وللرياضة الصوفية دور في تحقيق الكمال للنفس الإنسانية في الحق "وبها أعني حقيقة القلب، تنشأ عرضتها وتنبسط أحكام نشأتها، وتظهر من بين الهيئة الاجتماعية الواقعة بين الصفات ،والحقائق الإلهية والكونية، وما يشتمل عليه هذان الأصلان من الأخلاق والصفات اللازمة، وما يتولد من بينهما"[2].

وفي الأخير نخلص: أن عن طريق الرياضات الصوفية يتحقق قوام النفس واعتدال سلوكها، وكذا تحقق الاطمئنان، والرضا، والتوكل مما يجعل اليقين أمرا ثابتا في قلب العبد.

[1]– ابن عربي، الدرة البيضاء ، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1993، ط1، ص 29.

[2]– نفس المصدر ، ص 29.

الفصل الثالث:

نظرية الإنسان الكامل كأقوى برهان على اليقين

المبحث الأول: المقصد من الانسان الكامل عند الصوفية عامة و ابن عربي خاصة .

المبحث الثاني: الطرق الموصلة الى مرتبة الانسان الكامل.

المبحث الثالث: الانسان الكامل محققا للبقين.

ارتبط مصطلح الإنسان الكامل بالصوفية عامة، وعند "محي الدين ابن عربي" بصفة خاصة الذي كان أول من تحدث به عند المتصوفة، إذ يعتبر الإنسان الكامل هو المثل الأعلى، و الذي بدوره جال كل مراتب الصوفية، وحقق اليقين لأنه يعتبر كل إنسان خال من كل شوائب الدنيا، و انتقل بين مقامات المعرفة الصوفية من زهد،و كشف، و غيرها كما حقق الأمور الوجدانية و الروحانية و وصل إلى الحق تيقنا منه، إذ يصبح صورة ﷲ لخلقة،و يعد بذلك أقوى برهانا للخلق عن الخالق،و كذا اشمل برهان عن اليقين والمتيقنين ، فمن هو الإنسان الكامل في نظر ابن عربي ؟ و كيف يمكن له أن يجمع الحقائق، ويصبح برزخا في الوجود، ويحقق بذلك اليقين ؟

المبحث الأول: المقصد من الإنسان الكامل عند الصوفية عامة وابن عربي خاصة

المطلب الأول: تعريف الإنسان الكامل

إذا بحثنا عن تعريفات الإنسان الكامل فإننا لا نجد تعريفا يخص المصطلح بشقيه، إذ لا نجد تفسير يفسر كل مفرد على حدت لذا وجد تعريفات متعددة لكنها تحمل معنى واحد، لا اختلاف فيه، ومنه نعرج أولا إلى تعريف الإنسان الكامل.

في "معجم التعريفات" لـ:"الجرجاني" الذي ذكر لنا قائلا: "هو الجامع لجميع العوالم الإلهية والكونية الكلية والجزئية، وهو كتاب جامع للكتب الإلهية والكونية

فمن حيث روحه وعقله كتاب مسمى بأم الكتاب، ومن حيث كتاب اللوح المحفوظ، ومن حيث نفسه المحو والإثبات، فهو الصحف المكرمة المرفوعة المطهرة، التي لا يمسها ولا يدرك أسرارها إلا المطهرون من الحجب الظلماتية"[1].

أما في كتاب الفكوك" للشيخ الأكبر" الذي يعتبر أول من أتى بهذا المصطلح والذي يرى أن الإنسان الكامل الحقيقي هو "برزخ بين الوجوب والإمكان، والمرآة الجامعة للذات والمرتبة من صفات القدم وأحكامه، وكذلك الحدثان، ولهذا جعل محل خلافته الأرض؛ التي هي مركز الدائرة الوجودية، ولمقامها المعنوي المحجوب الآن بصورتها، رتبة البدائية في انبعاث النفس الرحماني، لتكوين النشأة الكلية

[1]– الجرجاني، كتاب التعريفات، ص 35.

الوجودية، فناسب من هذا الوجه الإنسان الحقيقي النازل فيها بالخلافة، لأنه الأول بالرتبة والمنزلة وإن كان آخر بالصورة"[1].

كما يضيف أن هذا الإنسان هو: "الواسطة بين الحق والخلق و ومن مرتبته يصل فيض الحق، والمدد الذي هو سبب بقاء ما سوى الله إلى العالم كله علوا وسفلا، ولولاه من حيث برزخيته التي لا تغاير الطرفين، لم يقبل شيء من العالم الإلهي الوحداني لعدم المناسبة والارتباط ولم يصل إليه، وكان يعني أنه الإنسان الكامل عمد السموات"[2].

وقد كشف لنا "التهانوي" أن المقصود بلفظ الإنسان الكامل على لسانه: "حيث وقع في مؤلفاتي لفظ الإنسان الكامل فإنما أريد به محمدا صلى الله عليه وسلم تأدبا لمقامه الأعلى"[3]. كما يضيف لهذا المقصد أن الإنسان الكامل ينقسم إلى ثلاث برازخ، يلتحق بها العارف ليصل إلى مرتبة أو شرف الختام، بحيث نجده يقول في تقسيمه: "البرزخ الأول يسمى البداية وهو التحقق بالأسماء والصفات، والبرزخ الثاني يسمى التوسط: وهو محك الرقائق الإنسانية بالحقائق الرحمانية، فإذا استوفى هذا المشهد علم سائر الممكنات، واطلع على ما يشاء من المغيبات، والبرزخ الثالث وهو: معرفة التنوع الحكمية في اختراع الأمور القدرية، ولا يزال الحق يخترق له العادات بها في ملكوت القدرة حتى يصير له، خرق العوائد عادة في تلك الحكمة

[1]– صدر الدين القرنوي، الفكوك في أسرار مستندات حكم الفصوص لابن عربي، حققه عاصم إبراهيم الكيالي، كتاب ناشرون، بيروت، لبنان، ط1، 2013، ص 68.

[2]– نفس المرجع، ص 68.

[3]– التهانوي، كشاف اصطلاحات الفنون، مكتبة لبنان، بيروت، ج1، ط1، 1996، ص 281.

فحينئذ يؤذن له بإبراز القدرة في ظاهر الأكوان"[1]. وبهذا يصل إلى الختام، وهو النهاية التي لا تدرك لها غاية والناس في هذا المقام مختلفون فكامل، وأكمل وفاضل، وأفضل[2].

وقد عرج له "ابن سبعين" (613هـ-1216م/ت669هـ-1270م) في كتاب الإحاطة من رسائله على النحو الآتي: "فمن علم الأمر بكماله علم الروح، والروح هنا شيء لمعنى، لأنه فاعل أو منفعل، ومن كان ذلك كان نور الله المظلم، ومن كان نور الله المظلم كان روحه القائم في الأشياء وبه قامت، ومن كان روحه القائم في الأشياء كما قيل كان نور الله الكاشف، ومن كان نور الله الكاشف كان روحه القائم بذاته، ومن كان روحه القائم بذاته كان هو الأشياء بوجه أنقص، ومن كانت الأشياء هو بوجه أنقص كان الإحاطة الصمدية، ومن كان الإحاطة الصمدية، كان هو الأشياء بوجه أكمل"[3]. أي أنه الإنسان صورة عن الحق ،وفيه تكمن صفات الله و هو صورة الله، وهو المكمل لما سواه، أي أنه يقصد بكل هذا أنه روح الحق التي يقصد بها الله عز وجل.

أما "الجيلي"(767هـ-1365م/ت826هـ-1422م) في كتابه الإنسان الكامل فقد صرح أنه يقصد به الرسول ﷺلأنه الأكمل فوق كل كامل في الوجود، وقد عرف الإنسان الكامل قائلا: "إعلم حفظك الله أن الإنسان الكامل هو القطب الذي تدور

[1]- التهانوي، كشاف اصطلاحات الفنون ، ص 281.

[2]- نفس المرجع ، ص 281.

[3]- ابن سبعين، رسائل ابن سبعين، تحقيق عبد الرحمن بدوي، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة، د ط، 1965، ص 138.

عليه أفلاك الوجود من أوله إلى آخره وهو واحد منذ أن كان الوجود إلى أبد الأبدين"[1]، مشيرا بعدها فاسمه الأصلي الذي هو "محمد"، وكنيته أبو" القاسم"[2].

ويذكر كذلك "أن الإنسان الكامل مقابل لجميع الحقائق الوجودية بنفسه فيقابل الحقائق العلوية بلطافته، ويقابل الحقائق السفلية بكثافته، فأول ما يبدأ في مقابلته للحقائق الخلقية يقابل العرش بقلبه"[3]. كما يشير أن الإنسان الكامل هو نسخة الحق تعالى كما أخبر رسول الله ﷺ: "خلق الله آدم على صورة الرحمن" وفي حديث آخر "خلق الله آدم على صورته"[4]، وبهذا فإن الكمال الإلهي لا يظهر إلا عن صورة واحدة هي الإنسان الكامل وهو بذلك خليفته على الأرض، فكان الإنسان بهذا عين جلاء مرآة العالم، ومحل تجل الأسماء الإلهية وصفاته.

المطلب الثاني: منزلة الإنسان الكامل في الفكر الصوفي

تحتل نظرية الإنسان الكامل مكانة بارزة في الفكر الصوفي، بحيث يعتبر من وصل إلى هذا المقام قد وصل إلى أعلى مقامات التمكين التي يصل لها العارف السالك لطريق الله، فيتصل بذلك إلى نبع الكمال، وقد يتيح له هذا أن ينظر للوجود بنور الله.

كما أن للفكرة عدة منابع وتختلف من نزعة لأخرى إذ نجد لها أساسا فلسفيا فالفلسفة ترى أن الإنسان الكامل هو الحكيم وهذا ما يختلف عن مدرسة العشق

---

[1]- الجيلي، الإنسان الكامل في معرفة الأوائل والأواخر، تحقيق أبو عبد الرحمن صلاح بن محمد بن عويضة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1997، ص 210.

[2]- نفس المرجع ، ص 210.

[3]- نفس المرجع ، ص 211.

[4]- نفس المرجع ، ص 218.

والعرفان "فالإنسان الكامل في نظرها من يتبع الباطن وهو من يعشق الحق، بمعنى تبرز عنده الناحية الفردية بشدة، فهي شبه غائبة، وتكاد لا تكون ظاهرة"[1].

ونظرا لمقامه العالي فإن جميع المتصوفة يتشوقون للوصول بهذا المقام الشريف الذي لا يضاهيه مقام، ومن ثم يتوجب على الواصل أن يكون بمثابة الرسول الذي يبلغ الأمانة؛ والرسالة للخلق من الخالق، فيقول سلطان العارفين "ابن عربي": "لما كان الإنسان هو المخلوق على الصورة الإلهية، فهو الحق، المخلوق به، أي المخلوق بسببه العالم، فإن الإنسان الكامل أكمل الموجودات وهو الغاية

ولما كانت الغاية هي المطلوبة بالخلق المتقدم عليها، فيما خلق ما تقدم عليها إلا لأجلها وظهور عينها، ولولاها ما ظهر ما تقدمها فالغاية هو الأمر المخلوق بسببه ما تقدم من أسباب ظهوره وهو الإنسان الكامل"[2]، وبهذا نجد ؛ في "الإنسان قوة كل موجود في العالم، فله جميع المراتب، ولهذا اختص وحده بالصورة"[3].

وتكمن منزلة الإنسان الكامل في كونه قد احتوى جميع الحقائق سواء ما ظهر منها وما بطن، كونية، أو غيبية فهو لا يخفى عنه شيء، فهو مرفع متميز عن الخلق كونه كما قلنا يتمتع بمعرفة سرائر الموجودات، وكذا الأسرار الإلهية الغيبية التي لا يصلها غيره من الخلق وبذلك له صفة الفردانة في معرفة بواطن الحقائق وظواهرها، حيث يذكر "ابن عربي" في هذا المقام: "خلق الحق الإنسان الكامل على صورته، ونصبه دليلا على نفسه، لمن أراد أن يعرفه بطريق المشاهدة

[1]– مهدي حشمي، خليفة الله الإنسان الكامل، دار الصفوة، بيروت، ط1، 2009، ص 62.

[2]– ابن عربي، الإنسان الكامل القطب الغوث الفرد، جمع محمود محمود الغراب، مطبعة الكاتب العربي، دمشق، ط22، 1990، ص 12.

[3]– نفس المصدر ، ص 12.

لا بطريق الفكر، الذي هو طريق الرؤية في آيات الآفاق"[1]، مستشهدا بقوله تعالى: **﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾**[2].

ومقام الإنسان الصوفي لا يذهب به إلى ترفيع الإنسان من جانب ومدلول أخلاقي من فضيلة وخير، بل "يتضمن مدلولات أنطولوجية (وجودية) وفنوميولوجية (معرفية)، ونظرية الإنسان الكامل هي في الحقيقة نظرية في "اللوغوس"، تجمع بين ثلاث جوانب رئيسية (أنطولوجي، كسمولوجي، كوني، عرفاني–نبوائي)"[3].

ومن بين السمات التي تبرز منزلة الإنسان الكامل: هي تركه لشهوات الدنيا وملذاتها وترك الماديات، والزهد عنها وكذا عبوديته لله وحده لا شريك له ،ويقينه بأن الله هو الحق، والحقيقة الثابتة الساكنة وكذا استعلاءه عن الرذائل، ويصبح هدفه الوصول إلى مقام معرفة الله، وبهذا يتأكد الجوهر الإلهي فيه ويكون جليل الصفات عالي المقام، ومنه يحقق الاتصال، واصل الحضرة الإلهية ومحقق اليقين، ومريد الأسرار الإلهية، وتبرز المنزلة في محاولة المريد إلى الانتقال من المقام الرفيع إلى الأرفع وهذا ما يحقق له شرف الكمال.

وهذا الكمال قد وصف به الإنسان كما أشرنا سابقا لأنه قد تجلت فيه الصفات الإلهية، فهناك ثلاث مجالات للتجلي الإلهي: "يتجلى الحق تعالى في الكون خلال ثلاثة مجالات، هي مجال الجمال الإلهي، والجلال الإلهي، والكمال

---

[1]– ابن عربي، الإنسان الكامل القطب الغوث الفرد، ص 14.

[2]– سورة فصلت، الآية (53).

[3]– أرثور سعديف، الفلسفة العربية الإسلامية، ترجمة توفيق سلوم، دار الفارابي، بيروت، ط1، 2000، ص 336.

الإلهي"[1]. وبهذا يكون قد وصف إلى معرفة الخوارق، والمغيبات، والاستعلاء على الشروط المكانية والزمانية، فاتصفت كمالاته بالعظمة، والمجد، وامتناع ما سواه عن الاتصاف بصفاته، وهو ما جعل من إنسانه الكامل شخصية متفردة، نادرة وغير عادية كشخص الرسول عليه الصلاة والسلام، حققت وبلغت اليقين.

المطلب الثالث: الإنسان الكامل في فكر ابن عربي

يقصد "ابن عربي" بإنسانه الكامل هو: ذاك الذي حاز على أعلى صور ظهور الحق فيه، وهو من اتخذ صورة الرحمن قولا وسلوكا ،وتقمص صفاته من محبة ورحمة، فيقول "سلطان العارفين"[2]:

إن تكن روحا وريحانا كنت بين الناس إنسانا
إنما أعطاك صورته لتكن في الخلق رحمانا

ويعتبر مصدر الخلق إذ جعله المركز الكوني الذي نشأت منه جميع المخلوقات والموجودات، إذ يقول "ابن عربي" في هذا الصدد: "الأول وحده خليفة الحق، وما ظهر عنه من أمثاله في عالم الأجسام، فهم خلفاء هذا الخليفة، بدل عنه"[3].

[1]– يوسف زيدان، عبد الكريم الجيلي، فيلسوف الصوفية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، د ط، 1988، ص 151.

[2]– ابن عربي، كتاب الوصايا، ص 224.

[3]– ابن عربي، الفتوحات المكية، ج3، ص 280.

ومعرفة الله تعالى في كونه ربا خالقا مدبرا، وسائر أوصافه لا تأتي إلا من خلال معرفة الإنسان الكامل ومنه: "فإن الله لما أحب أن يعرف إلا من هو على صورته وما أوجد الله على صورته أحدا إلا الإنسان الكامل"[1].

ويعدد الإنسان الكامل عند "ابن عربي" هو المعادل الموضوعي للعالم ماهية وتركيبا، إذ جمع بين كل متفرق متميزا بالأفضلية على العالم أجمع ليس لأنه الغاية النهائية فحسب، بل لأنه خليفة الحق عند خلقه، إذ يعتبر حقا، وخلقا معا، ولهذا نجد "ابن عربي" يصفه بالعديد من التعبيرات: "مختصر شريف"، "الكلمة الجامعة"،النسخة الكاملة، فحسب قوله: "فالعالم مختصر الحق، والإنسان الكامل مختصر العالم والحق، فهو نقاوة المختصر"[2].

ويذهب "ابن عربي" إلى رفع مقام هذا الإنسان وربطه باستمرارية هذا العالم وهو علته الأولى لتكونه ووجوده وكذا غايته النهائية: "اعلم أن الإنسان الكامل عمد السماء الذي يمسك الله به وجود السماء أن تقع على الأرض، فإذا زال الإنسان الكامل وانتقل إلى البرزخ هوت السماء"[3].

واستهل "ابن عربي" كتابه "الإنسان الكامل" بمعنى الكمال الذي أوجز فيه كل ما قلنا: "إعلم أن العالم كله لولا الإنسان الكامل ما وجد، وأنه بوجوده صح المقصود من العلم الحادث بالله"[4]، كما أشار قائلا: "أنه روح العالم، والعالم مسخر له علوه وسفله"[5].

---

[1]– ابن عربي، الإنسان الكامل القطب الغوث الفرد، ص 03.

[2]– نفس المصدر، ص 10.

[3]– نفس المصدر ، ص 15.

[4]– نفس المصدر ، ص 08.

[5]– نفس المصدر ، ص 08.

ويتوجب علينا هنا طرح تمييز "ابن عربي" بين الإنسان الكامل، والإنسان الحيوان فهمها يتشابهان في الظاهر،و يختلفان في الباطن، وقد نجد أن الإنسانين يشتركان في معرفة مصدر الأمور، والتفكر، والتدبر، إلا أن الإنسان الكامل زاد عن الإنسان الحيوان في الدنيا بتصريفه الأسماء الإلهية ونجد أن "الإنسان الحيوان يزاحم الإنسان الكامل بالقوة، فيما لا يكون من الإنسان الكامل إلا بالفعل، وأن الإنسان الكامل يخالف الإنسان الحيوان في الحكم، فإن الإنسان الحيوان يرزق رزق الحيوان، فان الكامل له رزق إلهي لا يناله الإنسان الحيوان، وهو ما يتغذى به من علوم الفكر الذي لا يكون للإنسان الحيوان، والكشف، والذوق والفكر، الصحيح"[1].

ومنه فإن الإنسان الكامل يختص بالعديد من الميزات تخصه وحده ليصل إلى أعلى المقامات وأرقى الرتب، وهذا من أجل بلوغ الوصول إلى الحق تعالى.

[1]– ابن عربي، الإنسان الكامل القطب الغوث الفرد ، ص 10.

المبحث الثاني: الطرق الموصلة إلى مرتبة الإنسان الكامل

لقد اعتبرت مرتبة الإنسان الكامل أسمى المراتب التي يصل إليها المريد العارف الصوفي الذي يسعى من خلال المجاهدات وغيرها من الرياضات الصوفية أن ينجلي عنه كل قبح ،وكل أمر دنيوي ليسمو إلى الكمال الذي فيه صفاء ونقاء للروح، والتي من خلالها يصل إلى الحق، وهذا الهدف الأول، وهو الوصول والاتصال بالله، ومعرفته حق معرفة، ومنه استوجب أن يتبع نهجين للوصول إلى هاته المعرفة والتي بدورها تكون موصلة للكمال: فأولها تكون باطنية، وهي عقل الإنسان والثانية حجة خارجية، وهم الرسل الذين يدعون الناس[1]، فيكون العبد قد عرف الكمال من خلال نفسه ،ومن خلال غيره من الكُمَّلِ.

المطلب الأول: معرفة الإنسان الكامل من معرفة النفس

أولا وقبل كل شيء يتوجب علينا أن نشير إلى تعريف النفس التي يعرفها "الجرجاني" في كتابه "التعريفات" على أنها: "هي الجوهر البخاري اللطيف الحامل لقوة الحياة ،والحس، والحركة الإرادية"[2]، وقد اتفق مع غيره من المعاجم الذين قسموا النفس إلى نفس أمارة، ونفس لوامة، ونفس مطمئنة تماما كما جاء في القرآن، وما يجدر ذكره وله علاقة مع موضوعنا هو النفس المطمئنة "والتي تم تنورها بنور القلب حتى انخلعت عن صفاتها الذميمة، وتخلقت بالأخلاق الحميدة"[3]، فإذا وصلت النفس إلى مقام النفس المطمئنة، وجاهدت فإنها ترقى إلى مقام النفس الراضية، ثم المرضية، ثم الكاملة، وهي مراتب ومنازل نفوس الأنبياء والأولياء الكمل أصحاب

[1]– مهدي حشمي، خليفة الله الإنسان الكامل، ص 65.

[2]– الجرجاني، معجم التعريفات، النفس، ص 204.

[3]– نفس المرجع، النفس، ص 204.

الدرجات العليا[1] ولذالك نجد الله تعالى يقول:﴿ **أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ۞ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً**﴾ [2].

ويوضح "جميل صليبا" في أن الصوفية يقسمون النفس إلى "خمسة أضرب: حيوانية، وأمارة، وملهمة، ولوامة، ومطمئنة، وكلها أسماء الروح، وحيوانية باعتبار تدبيرها للبدن، وأمارة باعتبار ما يأتيها من المقتضيات الطبيعية بمثابة الأمر للإنهماك في اللذات الحيوانية، والملهمة لاعتبار ما يلهمها الله من الخير، واللوامة لاعتبار أخذها في الرجوع والإقلاع، فكأنها تلوم نفسها والمطمئنة لاعتبار سكونها إلى الحق، فإذا ظهرت على جسدها الآثار الروحية كعلم الغيب فاسمها الروح"[3].

وبما أن النفس وترقياتها توصل العبد إلى الكمال فيستوجب على المريد أن يتعرف من حيث هي ذاته ومن خلال نفسه يعرف الكمال ومنه يذهب العبد إلى معرفة الرب سبحانه وتعالى "إن المعرفة الصوفية الفلسفية التي تقضي بأن الإنسان يجمع حقائق الكون وصفات الإله، ومعنى هذا أن معرفة الرب لا تتولد إلا بعد وصول الإنسان نفسه إلى مرتبة الكمال، ففي تلك الحالة يعرف حقيقة نفسه، جامعة الحقائق الكلية والجزئية، الكونية والإلهية، وبها يكون كاملا، مرآة للحق، يرى في نفسه صورة الحق، حذو القذة بالقذة بلا فرق، وغيره يرى فيه صورة الحق، وبذلك تتم معرفة الحق سبحانه وتعالى"[4].

---

[1]– حسن الشرفاوي، معجم ألفاظ الصوفية، النفس، ص 275.

[2]– سورة الفجر، الآية من 27–30.

[3]– جميل صليبا، المعجم الفلسفي، النفس، ج2، صص 890–891.

[4]– لطف الله بن عبد العظيم خوجة، الإنسان الكامل في الفكر الصوفي، دار الهدي النبوي، مصر، ط1، 2009، ص 301.

يرى "ابن عربي" أن علامة الإنسان الكامل من نفسه لذا نجده يذكر: "فمن أراد أن يعرف كماله، فلينظر في نفسه، في أمره ونهيه، وتكوينه بلا واسطة لسان ولا جارحة ولا مخلوق غيره، فإن صح له المعنى في ذلك فهو على بينة من ربه في كماله، فإنه عنده شاهد منه أي من نفسه"[1].

ويرى "ابن عربي" أن معرفة النفس توصل إلى معرفة الرب تنطبق على العديد من الصور كما مثلها "في علاقة الروح بالجسد، الجسد وسيلة لمعرفة الروح فرؤية الجسد توقف على حقيقة الروح، فالجسد المتحرك المصور، وراءه ما يحركه ويحفظ عليه صورته، ويعطيه الإدراك، فالجسد أداة معرفة حقيقة الروح وصفاتها وكذلك النفس أداة معرفة الرب، فمن نظر فيها استدل على المحرك، والمسكن للإنسان، ومن يحكم فيه بما شاء"[2]، وهذا ما استدل من القرآن الحكيم ﴿**سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ** ﴾[3].

ما علمنا أن لنا أمر يحركنا ويسكننا ويحكم فينا بما شاء حتى نظرنا في نفوسنا، فلما عرفنا نفوسنا عرفنا ربنا، حذوك النعل بالنعل، ولهذا اخبر في الوحي قوله: "من عرف نفسه عرف ربه"[4].

ويضرب لنا "ابن عربي "مثال آخر وهو مثال المرآة بحيث يقول: "إعلم أنك لا تعلم أنك على الصورة، ما لم تعلم قوله ﷺ: "المؤمن مرآة أخيه" فيرى المؤمن نفسه في مرآة أخيه، ويرى الآخر نفسه فيه، وليس ذلك إلى في حضرة الإسم الإلهي

[1]– ابن عربي، الإنسان الكامل القطب الغوث، ص 18–19.

[2]– لطف الله بن عبد العظيم خوجة، الإنسان الكامل في الفكر الصوفي، ص 302.

[3]– سورة فصلت ،الآية 53.

[4]– نفس المرجع ، ص 302.

المؤمن"[1]، قال تعالى: ﴿**إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ** ﴾[2]. يعني "إذا تنافروا كالمُعِزِ والمِذِل، والضار والنافع، وأما عادا الأسماء المتقابلة فهم إخوان على سرر متقابلين وليس يصلح بين الأسماء إلا الاسم الرب، فإنه المصلح، والمؤمن حيث ما هو مرآة، فمن رأى نفسه هكذا علم أنه خليفة من الخلفاء بما رآه من الصور"[3].

المطلب الثاني: معرفة الإنسان الكامل من حيث كماله

إن من معرفة الكُمَّلِ تنتج معرفة الرب وهذا بتمثل الصورة الإلهية، ونقصد بالكُمَّلِ من تحققت فيهم مرتبة الكمال ووصلوا إلى أعلى المقامات إذ تتجسد هذه الصفة في الأنبياء والأولياء وأعلاهم الرسول ﷺ، يقول "ابن عربي": " كُمِّلَ من الرجال كثيرون، ولكن لم يُكَمِّلْ من النساء مريم وآسية يعني بالكمال معرفتهم بهم ومعرفتهم بهم هو عين معرفتهم بربهم، فمن وقف على الحقائق كشفًا وتعريفًا إلهيا فهو الكامل الأكمل"[4]، بما أن "تمثل الصورة الإلهية في الإنسان الكامل جاء من حيث جمعه لكل الأسماء الإلهية، فإن العالم له نصيب من هذه الأسماء، لكن الذي فاز بمجموعها هو الإنسان الكامل، فما ترك اسما ولا وصفا إلا وجمعها في نفسه فاستحق بذلك أن يكون الدليل الأعظم على الرب"[5]، كما يقول "ابن عربي": "لما كان الخلق على مراتب كثيرة، وكان أكمل مرتبة في الإنسان، كان كل صنف من العالم جزءا بالنظر إلى كمال الإنسان حتى الإنسان الحيوان جزء من الإنسان

[1]– ابن عربي، الإنسان الكامل القطب الغوث الفرد، ص 18.

[2]– سورة الحجرات، الآية 10.

[3]– ابن عربي، الإنسان الكامل القطب الغوث الفرد، ص 18.

[4]– نفس المصدر ، ص 8.

[5]– لطف الله ابن عبد العظيم خوجة، الإنسان الكامل في الفكر الصوفي، ص 306.

الكامل"[1]، وبهذا تكون معرفة الإنسان الكامل لله معرفة كلية على غرار جميع أجزاء هذا العالم فكل ما وجد في الوجود بخلاف الإنسان الكامل يعلم الله معرفة جزئية[2].

يرى "ابن عربي "أن الإنسان الكامل مستهلك في الحق، والحق مستهلك فيه إنما سماه رداء إذ يعتبر بهذا مستهلك فيه استهلاكا كليا، بحيث لا يظهر له وجود عين، مع ظهور الانفعالات الإلهية عنه، فلا يجد الإنسان الكامل في نفسه حقيقة ينسب بها شيئا من تلك الانفعالات إليه، فيكون حقا كله[3]، ويذكر "ابن عربي" أن "المرتدي هو الهالك بهذا الرداء، فانظر من المرتدي؟ فاحكم عليه أنه مستهلك فيه فنجد حقيقة ما ذكرناه فكل مرتد محجوب بردائه عن إدراك الأبصار، لأن الرداء يحجب الأبصار عنه ولا يحجبه عنها: فهو يدركها ولا تدركه فالأبصار تدرك الرداء والرداء هو الذي استهلك المرتدي فيه بظهوره"[4]، ومن كل هذا تجده يقصد بالرداء والمرتدي هو "أن الإنسان هو الرداء والحق هو المرتدي إذن فالحق لا يتجلى إلا بالإنسان ولا يعرف إلا به"[5].

ويقول" ابن عربي": "الكبرياء رداء الحق، وليس سواك فإن الحق تردى بك إذ كنت على صورته، فإن الرداء على صورة المرتدي، فالواحد رداء وهو الذي ظهر وهو الخليفة المبدع بفتح الدال، والآخر مرتد فهو الذي خفي، وهو القديم المبدع

[1]– ابن عربي، الإنسان الكامل القطب الغوث الفرد ، ص 11.

[2]– لطف الله ابن عبد العظيم خوجة، الإنسان الكامل في الفكر الصوفي، ص 306.

[3]– ابن عربي، الفتوحات المكية، ج 12، ص 516.

[4]– نفس المصدر، ص 517.

[5]– لطف الله ابن العظيم خوجة، الإنسان الكامل في الفكر الصوفي، ص 307.

فلا يعرف المرتدي إلا باطن الرداء وهو الجمع، ويصبح الرداء على شكل المرتدي"[1].

والخلاصة من كل هذا أن العبد أن يصل إلى الكمال، وغايته أن يصل إلى هذا الرداء كما ذكر" ابن عربي" الذي هو الإنسان الكامل وبوصوله إليه يكون قد وصل إلى مرتبة يكون الحق خلفها فيها يتقرب العبد للوصول لله الحق ،ويطمع أن يدركه ولا يمكن أن يحقق معرفة بالنفس، أو الكمل إلا عبد عارف واصل زاهد متعبد انتقل بين مقامات الصفاء وبكل ثبات ويقين.

[1]– ابن عربي، الإنسان الكامل القطب الغوث الفرد، ص 16.

المبحث الثالث: الإنسان الكامل محققا لليقين

المطلب الأول: الإنسان الكامل برزخا

أولا وقبل البدء في مضمون هذا المطلب نعرج لمعنى البرزخ "وهو الحايل بين الشيئين ويعبر به عن عالم المثال"[1]، ويعرف بأنه: "الحاجز الذي بين الموتى والأحياء، فهو الذي يمنع الموتى من الرجعة إلى الدنيا، وهذا البرزخ باق إلى يوم القيامة"[2]، وفي ذلك قوله تعالى: ﴿**مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ۞بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ ۞ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ**﴾[3] ، وكذلك نجد قوله تعالى: ﴿**لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ**﴾[4].

والبرزخ عند أئمة الصوفية هو :"العالم الأوسط بين العالمين العلوي والدنيوي أي أنه فوق عالم الأجسام وتحت عالم الكون"[5].

أما "ابن عربي" كما جاء في المعجم الصوفي أنه "استعمل هذا المصطلح "البرزخ" بمعناه الديني، الذي يوحي بالمكان: البرزخ عالم نفارق إليه بالأجساد في حال الموت، ونفارق إليه بالأرواح أو الأنفس في حال النوم، فهو عالم خيال متجسد

---

[1]– عبد الرزاق القاشاني، معجم اصطلاحات الصوفية، البرزخ ،ص 63.

[2]– حسن الشرقاوي، معجم ألفاظ الصوفية، البرزخ، ص 71.

[3]– سورة الرحمن، الآية 19–21.

[4]– سورة المؤمنون، الآية 100.

[5]– حسن الشرقاوي، معجم ألفاظ الصوفية، البرزخ، ص 71.

وهو المنزل الأول من منازل الآخرة"[1]، وعندما يستعمل ابن عربي "لفظ "برزخ" غير معرف يقصد به حقيقة أو مرتبة لها عدة صفات يقول: فإن الكمال في البرازخ أظهر منه في غير البرازخ،اظهر منه في حال البرازخ، لأنه يعطيك العلم بذاته لا غير لأن البرزخ مرآة للطرفين فمن أبصره أبصر، فيه الطرفين"[2]، كما أن هناك معنى آخر للبرزخ عند "ابن عربي" كما وضحت "سعاد الحكيم" في معجمها أنه عندما "يستعمل "ابن عربي" لفظ "برزخ" معرفا غير مضاف يشير به إلى حقيقة الإنسان التي جمعت بذاتها الصورتين: الخفية، والخلقية، فكانت نسختين ذات نسبتين: نسبة تدخل بها إلى الحضرة الإلهية ،ونسبة تدخل إلى الحضرة الكونية، فهي برزخ بين العالم والحق، وهي مرتبة الإنسان الكامل، فالبرزخية هنا وظيفة الإنسان الكامل الحد الجامع الفاصل بين الظاهر والباطن، بين الحق والعالم"[3].

وقد ذكر أن البرزخ يعتبر تردد بين الشك واليقين فيما يقال في برازخ الإيمان ما بين الشك واليقين وقد تسمى بالوسوسة ولعلها تشير إلى تلك الحالات الانتقالية التي لا يعرف فيها المرء جلية الأمر فيما يتعلق بإيمانه والمعنى العقدي الثاني للبرزخ يقيد المرحلة الانتقالية بين النظر والعمل في الإيمان، وقيل: هو ما بين أول الإيمان وآخره... وأول الإيمان الإقرار بالله عز وجل، وآخره إماطة الأذى عن الطريق[4].

---

[1]- سعاد الحكيم، المعجم الصوفي، البرزخ، دندرة للطباعة والنشر، لبنان، ط1، 1981، ص 192.

[2]- نقلا عن سعاد الحكيم، نفس المرجع، ص 193.

[3]- نفس المرجع ، ص 194.

[4]- محمد المصباحي، نعم ولا الفكر المنفتح عند ابن عربي، ص 88-99.

وقد اعتبر الصوفية البرزخ بمثابة المقام الذي يجسد أو يقرر مهمة الإنسان الكامل الوظيفية في الوساطة بين الحق والخلق، فالإنسان الكامل يجمع بين حقيقتين الإلهية والكونية ودوره من حيث هو برزخ بصفة مباشرة يكون من خلال مهام الإنسان الكامل تفصيلا أما بصفة غير مباشرة فذلك يكون بفضل الأقطاب والأولياء فهذان الأخيران هما الطريق الوحيد لمن أراد الفيض الإلهي والاتصال بالحق[1]، ومنه يوصل السالك لطريق إلى بلوغ اليقين، وهذا هدف كل مريد عارف، وهذا يعود إلى أن "الإنسان قلب للعالم وهو البيت المعمور بالنسبة للحق، فكونه قلب العالم فالعالم لا يصل إلى الله إلا به، وكونه البيت المعمور بالحق، فهو الذي يتلقى عن الحق ثم يفيض للعالم كما يفيض ما في القلب من روح وحياة، فيسري في الأعضاء والعالم من الإنسان الكامل"[2].

وبما أننا ذكرنا أنه يمكن أن تكون حياة أخرى تسافر لها الأرواح يستوجب على السالك إلا أن يوقن بها، ويعترف بأنها الحد الفاصل بين الموتى والأحياء وأنها تمنعهم من العودة للحياة الدنيا، وهذا كله يستوجب على العبد أن يكون واثقا ثقة لا يزاولها أدنى شك، ومنها يتحقق له اليقين من خلال الاعتراف ببرزخية الإنسان الكامل، وهذا الاعتراف يحقق بدوره اليقين وتصبح علاقتها علاقة كاملية.

المطلب الثاني: الإنسان الكامل جامع الحقائق

المقصود بالحقائق: الحقائق الإلهية، والكونية والتي تجمع العديد من التعبيرات منها جامع صفات القدم ،وصفات الحدثان، جامع أحكام الوجوب، والإمكان، جامع

[1]– لطف الله بن عبد العظيم خوجة، الإنسان الكامل في الفكر الصوفي، ص 239–240.
[2]– نفس المرجع، ص 241.

الظاهر، والباطن، جامع صفات الحق، وصفات الخلق ،وكلها وإن دلت فإنها تدل في الفكر الصوفي على أن الإنسان الكامل، قد احتوى في ذاته كل الحقائق الموجودة، الكلية والجزئية في عالم الغيب، والشهادة إلهية، وكونية لا يفوته منها شيء[1]، إذ نجده يتميز عن بقية الخلق، كونهم يفتقرون إلى بعض الصفات بينما هو يحوز معظمها، "فميزته عن الخلق من جهتين:

1. من جهة أنه يجمع الحقائق الإلهية كلها، وباقي الخلق ليس له إلا بعضها.
2. من جهة أنه يجمع الحقائق الكونية كلها، وباقي الخلق ليس لهم إلا بعضها"[2].

ويقول "ابن عربي" أنه: "الإنسان الحيوان هو الصورة الظاهرة التي جمع بها حقائق العالم، والإنسان الكامل هو الذي أضاف إلى جمعية حقائق العالم، حقائق الحق التي بها صحت الخلافة، وهو قول القائل: "وما على الله بمستنكر أن يجمع العالم في واحد فهو الإنسان الكامل جامع الحقائق العالم وصورة الحق سبحانه وتعالى"[3].

إذ هو "الوجه لكل وجهة، وهو مولاها، وهو الجامع لأحكام الوجوب والإمكان وهو مجمع البحرين: أي الظهور والبطون. وقال لي: هو صاحب درجة الاعتدال ومنصب النقطة والعلة، وهو سر الاسم الأول من حيث المعنى، والآخر من حيث

[1]– لطف الله بن عبد العظيم خوجة، الإنسان الكامل في الفكر الصوفي، ص 203.
[2]– نفس المرجع، ص 203.
[3]– ابن عربي، الإنسان الكامل القطب الغوث الفرد، ص 13.

الصورة، وقال لي: الإنسان طابع علامة الأسماء وهو الختم المذكور بسر الأمداد والاستمداد، وهو وارث الخلافة بمظهر الوحدة والكثرة"[1].

وكما تحدثنا فيما سبق أن الله خلق الإنسان على صورته، فجمع بدوره صوره الخلق والخالق فجعله الله عز وجل صورة للعالم ،أو بالأحرى نسخة للعالم كله، "فما ممن حقيقة في العالم إلا وهي في الإنسان، فهو الكلمة الجامعة، وهو المختصر الشريف، وجعل الحقائق الإلهية التي توجهت على إيجاد العالم بأسره، متوجهة على إيجاد هذه النشأة الإنسانية الإمامية، فخلق الله الإنسان في أحسن تقويم"[2]، وهذا ما نجد الله عز وجل يذكر في اياته البينات نفس الوصف الذي تحدثنا عنه اذ نجد قوله تعالى : ﴿ **لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ** ﴾[3].

وقد نجد أن الله خص الإنسان الكامل بالعديد من الميزات بحيث "أبرزه نسخة كاملة جامعة لصور حقائق المحدث، وأسماء القديم، أقامه سبحانه معنى رابطا للحقيقتين وأنشأه برزخا جامعا للطرفين والرقيقتين، أحكم بيديه صنعته، وحسن بعنايته صبغته، وكانت مضاهاته للأسماء الإلهية بخلقه، ومضاهاته للأكوان العلوية والسفلية بخلقه، فتميز عن جميع الخلائق بالخلقة المستقيمة"[4].

---

[1]– عبد الرحمن بدوي، الإنسان الكامل في الإسلام، وكالة المطبوعات، الكويت، ط2، 1986، ص 202.

[2]– ابن عربي، الإنسان الكامل القطب الغوث الفرد، ص 14.

[3]– سورة التين، الآية 04.

[4]– ابن عربي، الإنسان الكامل القطب الغوث الفرد، ص 14.

المطلب الثالث: وساطة الإنسان الكامل للحق وللخلق

يكون الوسيط هنا بمثابة الجسر الواصل بين ضفتين الذي وجد من أجل تغطية فجوة الطريق التي تعيق سير العابر المريد الوصول إلى الضفة الاخرى وهو كما أشرنا فيما سبق بأنه البرزخ الذي يصل بين شيئين، فيكون واصلا أو وسيطا بين العبد وربه، ومنه سنشرع في تبيان، وساطة كل منهما على حدا:

أ-وساطة الإنسان الكامل للحق:

" لقد جاء في الأثر الصوفي أن الإله أراد أن يعرف، فخلق الإنسان الكامل وأعطاه صورته أسماء، وصفاته ليكون مثالا له به، يتعرف الخلق إليه، ثم إنها مشتركة بين المرتبتين، فكل الأقطاب الصغرى لها الوساطة في التعرف إلى الحق وإن كان هذا لا يلغي كون القطب الأكبر والحقيقة المحمدية في ذاتها، أحسن وأرقى وأعلى وساطة لتعرف الخلق على الحق، وقد ظهرت في صورة الأنبياء"[1].

يقول" ابن عربي" فيما يخص هذا الطرح: "وخاطب الله الإنسان فقال لا أعرف إلا بك، كما أنك لا تكون إلا بي، فمن عرفك عرفني"[2]، وكما أشرنا سابقا أن للإنسان مركزية الوجود فيه تواجدت كل الموجودات، ولهذا جعله الله عمد السموات كما أنه رداء للحق وهو ظل الله في أرضه[3].

[1]- لطف الله بن عبد العظيم خوجة، الإنسان الكامل في الفكر الصوفي، ص 351.

[2]- ابن عربي، فصوص الحكم، تعليق، دار الكتاب العربي، بيروت، ط2، 1980، ج1، ص 90.

[3]- ابن عربي، الإنسان الكامل، ص 10.

ب-وساطة الإنسان الكامل للخلق:

في العنصر السابق تطرقنا إلى وساطة الإنسان الكامل بربه، وهي عملية تنازلية، أما هذه فهي تصاعدية، في الأولى كان نظر الحق إلى الخلق، وبهذه الوساطة أوجدهم، ورحمهم وحفظهم، وبها تعرف إليهم، وفي الثانية يتطلع الخلق إلى الحق وبها يتعرفون إليه ويتقربون ويتحدون، ويفنون ويبقون، وينالون العلم اللدني[1].

ويتوجب على الخلق التعرف على الإنسان الكامل لأنه يمكنهم من: معرفة الله تعالى، كونه يملك الكلام عن الله، وكونه الإنسان الكامل مركز الوجود والعطاء[2].

"فلا يعرف قدر الحق إلا من عرف الإنسان الكامل، الذي خلقه الله على صورته وهي الخلافة"[3].

فلم يخلق الله الإنسان عبثا بل خلقه ليكون وحده على صورته، فكل من في العالم جاهل بالكل عالم بالبعض، إلا أن الإنسان الكامل وحده فإن الله علمه الأسماء كلها، وآتاه جوامع الكلم، فكملت صورته فجمع بين صورة الحق، وصورة العالم، فكان برزخا بين الحق والعالم، مرآة منصوبة يرى الحق صورته مرآة الإنسان ويرى الخلق أيضا صورته فيه[4]

[1]- لطف الله بن عبد العظيم خوجة، الإنسان الكامل في الفكر الصوفي، ص352

[2]- نفس المرجع، ص 283.

[3]- ابن عربي، الإنسان الكامل القطب الغوث الفرد، ص 21.

[4]- نفس المصدر ، ص 26.

خاتمة

نخلص في آخر هذه الدراسة التحليلية إلى العديد من الاستنتاجات أولها :

إن كل المفاهيم اللغوية و الاصطلاحية ترمي بنا إلى أن هذا المصطلح عميق متشعب المدارك ، إذ فصل فيه الصوفية و القران الكريم ، و جعلوه مبدأ للتصديق كما ربك بالإيمان بحيث يندرجان في كفة ميزان واحدة الا و هي رفع العبد إلى مرتبة عالية ، ومن بين هذه المراتب مرتبة اليقين: التي يرتقي بها المتيقن حتى يتحقق عنده اليقين الذي يعتبر هم العارف المتعبد ، الذي لا يسكن قلبه غير الله سبحانه وتعالى ، بحيث يعمل على رضا ربه في الدنيا والاخرة ، وقد خص الله عباده الموقينين بصفات متعددة ذكرها في كتابه المبين فصل فيها وأعطى لكل منها حكما ، ينشغل بها قلب العبد لنيل كرامات ربه ويعتبر اليقين من أهم المقامات الدينية ، وأعظم شعبه .

وقد يعمل المؤمن على تقوية يقينه لينفي الشك الذي يخالج نفسه ، وهذا ليحقق ما يرغب به المريد العارف من تجلي ، وكشف و وصول لمعرفة الحق . كما أنه يتخذ اليقين كما نص عليه القرآن منهج لتقويم السلوك وتقوية الإيمان والعلو في درجاته، إذ نجد العديد من الآيات الكريمة توجه خطاباتها للمؤمنين ذوي اليقين القوي . وهنا يصبح اليقين متعلق بالنفس الانسانية ينقص ويزيد بحسب درجة ايمانها.

يضع "ابن عربي" لليقين نشأتين: نشأة روحانية في علم المعاني وهي : علما ،وعينا، وحقا ،و حقيقة . ونشأة جسمانية في عالم الألفاظ، وهي أربعةُ أركانٍ أخرى وهي: الياء، والقاف، والياء، والنون، واكتمال النشأتين يعطي ثمانية أركان وهي الحاملة للعرش .

أن اليقين لا يكون محدودا فكلما زادت درجة اليقين واختلفت كانت درجة المعرفة أعلى وكلاهما يكون غير متناه ولا يتوقف ويبقى متواصلا، كما أن شرط الوحيد لزيادة اليقين هو الثبات على العبادة والإيمان وزيادتهما وكلما زادا ارتفعنا بين مراتب اليقين علم وعين وحق يقين ويزداد ولا تكون له نهاية .

ويعتبر التوحيد المرتكز الاول في علم اليقين ، والذي يُرى فيه الاعتراف بأن لا إله غير الله الواحد الأحد الذي أوجد كل الموجودات ،ويتخذه الصوفية ليحلون به به الله تعالى مكان الجميع وهذا ، وهو علم عرفاني يصلون له بالكشف والتجلي .

يعد "ابن عربي" هو أول من وضع مذهب وحدة الوجود لكن لم يكن أول من قال بها، إذ نجد أن وحدة الوجود تعني عند المتصوفة بصفة عامة أن ﷲ هو الحق. وليس هناك إلا موجود واحد، وهو الموجود المطلق، أما العالم فهو مظهر من مظاهر الذات الإلهية، وليس له وجود في ذاته، لأنه صادر عن الله بالتجلي .

جاء مذهب وحدة الوجود لينفي ثنائية الوجود التي يقسمونه إلى وجود واجب،ووجود ممكن.وللحقيقة الوجودية وجهان خلق وحق، يستوجب إبعاد إدراك الله بالعقل،وانما ينبغي ان يكون اعتقاد يصحبه إيمان مما يوصل صاحبه الى اليقين بوحدة الله ﷻ. لانه بشدة الايمان يشتد اليقين بمعرفة الله ﷻ. ويتوجب على العارف ان يكتفي بالمعرفة الالهية وحدها ،لأنها الوحيدة التي تهبه إشراقا وإلهاما للقلب الذي يعتبر موطن العلم الإلهي واليقين .

بالفناء والبقاء يسقط العبد اوصافه الذميمة و يترك العبد الدنيا ويشتغل بالاخرة و زخرفها . ويتصل بالحق ، ومنه تكون المعرفة الصوفية مرتبطة بدرجة يقين العبد بربه .

من وسائل المعرفة اليقينية هاته نجد الذوق ، الكشف ، الوجد ... إذْ يبتعد الصوفي بها عن عالم الحس والعقل ويذهب إلى أعمال القلب وحده مع الحدس ليقيم العارف علاقة توصله بالحق و هو الله لكي يتحقق عنده اليقين التام . ولن يصل المريد لهذه الوسائل الا من خلال ترويض النفس على ترك ملاذ الدنيا وتهذيبها منها: الزهد ، الذكر ،العبودية ، المجاهدة ...، وبها يستطيع العبد ان يروض نفسه ويجعلها في علاقة تواصل مع الحق .

الرياضات الصوفيه دور في ايصال النفس الى الكمال ، والكمال هو اكثر شيء يحقق للعارف اليقين اذ يعتبر مقصد كل صوفي عارف زاهد ، وهذا الكمال وصف به الإنسان لما حمله من صفات الحق ، وقد جسد "ابن عربي" مؤلفًا يعرف بالإنسان الكامل إذ يعتبر هو اول من قال به عند المتصوفة ، ويعتبر الإنسان الكامل عندهم هو الجامع للأسماء والصفات الالهية والحقائق الكونية وانه روح العالم به بقاؤه وانه برزخ وله الوساطة بين الحق والخلق لإيصال الفيض الالهي اليهم والوصول بالخلق الى الحق وله بذلك التمكين في الكون والكشف عن المغيبات وانه يظهر في كل زمان ومكان واكمل صورة ظهر فيها هي صورة محمد صلى الله عليه وسلم.

يعتبر الانسان الكامل برزخا وقد اعطت له هذه الصفة لكونه حلقة وصل بين العبد وربه اذا يرى فيه الخلق صورة للخالق وبه يصلون الى معرفته ، من يعرف الانسان الكامل يعرف الحق .

قائمة المصادر

والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

أولاً- المصادر:

1 - أ - القرآن الكريم (برواية ورش).

- ب- الحديث النبوي الشريف .

2- مؤلفات ابن عربي :

1) ابن عربي: ابن عربي، رسائل ابن عربي ، وضع حواشيه محمد عبد الكريم النمري ، دار الكتب العلمية ،لبنان ،ط1 ،2001 .
2) ------: الفتوحات المكية، تحقيق عثمان يحيى مراجعة إبراهيم مدكور ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة،(دط)، 1990 .
3) ------: الإنسان الكامل القطب الغوث الفرد، جمع محمود محمود الغراب، مطبعة الكاتب العربي، دمشق، ط2، 1990.
4) ------: الحب والمحبة الإلهية ،جمع وتأليف محمود محمود الغراب ،دط، ،دت.
5) ------: الدرة البيضاء ، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1993، ط1.
6) ------: الوصايا، دار الإيمان، بيروت، لبنان، ط2، 1988.
7) ابن عربي، اليقين، تحقيق سعيد عبد الفتاح ، دار أخبار اليوم، مصر، د ط، د ت.
8) ------: تفسير ابن عربي، إعداد سمير مصطفى رباب ، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط1، 2001.

9) ------: فصوص الحكمة، تحقيق وجمع وتأليف محمود محمود الغراب، مطبعة زيد بن ثابت، 2000.

10) ------: لوازم الحب الإلهي تحقيق وتعليق موفق فوزي الجبر، ط1، دار معد للطباعة والنشر والتوزيع، سورية، 1998.

ثانيا : المراجع

1. أرثور سعديف، الفلسفة العربية الإسلامية، ترجمة توفيق سلوم، دار الفارابي، بيروت، ط1، 2000.
2. ابن تيمية ، الاستقامة،ج1، تحقيق محمد رشاد سالم، (دط)، هجر للطباعة والنشر، مصر، 1991.
3. ابن تيمية، جامع الرسائل، ، تحقيق محمد رشاد سالم، دار المدني للنشر والتوزيع، جدة، السعودية ط2، 1984.
4. ابن تيمية، مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد ابن تيمية جمع وترتيب عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، دط ،2004.
5. ابن سبعين، رسائل ابن سبعين، تحقيق عبد الرحمن بدوي، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة، د ط، 1965.
6. ابن قيم الجوزية، مدارج السالكين، دار الكتب العلمية، لبنان، ط1 ،(د ت).
7. ابن قيم الجوزية، مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، تحقيق عبد الرحمان بن حسن بن قائد، دار علم الفوائد، دط، دت .
8. ابو القاسم القشيري ،الرسالة القشيرية ، تحقيق عبد الحليم محمود محمد، دار الشعب للطباعة والنشر،القاهرة ، دط،1989 .

9. أبو بكر عبد الله ابن شاهور الرازي: منارات السائرين ومقامات الطائرين، تحقيق سعيد عبد الفتاح، مصر، ط 1،1993.
10. أبي عبد الله بن إسماعيل البخاري،الأدب المفرد، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، المطبعة السلفية ومكتبتها، القاهرة، مصر، د ط ، 1370، باب من سأل الله العافية، (724).
11. أحمد بن عبد العزيز القيصر، عقيدة الصوفية في وحدة الوجود الخفية، ط1، مكتبة الرشد ناشرون، الرياض، 2003.
12. أسين بلاثيوس ،ابن عربي حياته ومذهبه ، تر عبد الرحمن بدوي ، مكتبة الانجلو المصرية ،القاهرة ، دط، 1965.
13. البيهقي، الدعوات الكبير، عناية بدر الدين عبد الله البرد، ، غراس للنشر، الكويت، ط1، 2001.
14. الجيلي، الإنسان الكامل في معرفة الأوائل والأواخر، تحقيق أبو عبد الرحمن صلاح بن محمد بن عويضة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1997.
15. صدر الدين القرنوي، الفكوك في أسرار مستندات حكم الفصوص لابن عربي، حققه عاصم إبراهيم الكيالي، كتاب ناشرون، بيروت، لبنان، ط1، 2013.
16. عبد الرحمن بدوي، الإنسان الكامل في الإسلام، وكالة المطبوعات، الكويت، ط2، 1986.
17. الغزالي: المنقذ من الضلال، تحقيق جميل صليبا، كامل عياد، ط1، دار الأندلس، لبنان، 19.

18. كرم ايمن كرم ، حقيقة العبادة عند محي الدين ابن عربي، ط1، دار الأمين، القاهرة، 1997.

19. الكلابذي، التعرف لمذهب أهل التصوف ، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان ، ط1، 1993 .

20. لطف الله بن عبد العظيم خوجة، الإنسان الكامل في الفكر الصوفي، دار الهدي النبوي، مصر، ط1، 2009.

21. محمد المصباحي، نعم ولا الفكر المقتنع عند ابن عربي، ط1، الدار العربية للعلوم، بيروت، 2012.

22. محمود قاسم، موقف ابن عربي من العقل والمعرفة الصوفية، محاضرة عامة ألقيت بجامعة أم درمان بالسودان، مكتبة مخيمر،مصر، دط، 1969.

23. مهدي حشمي، خليفة الله الإنسان الكامل، دار الصفوة، بيروت، ط1، 2009.

24. يوسف زيدان، عبد الكريم الجيلي، فيلسوف الصوفية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، د ط، 1988.

25. يوسف محمود محمد، أسس اليقين بين الفكر الديني والفلسفي، دار الحكمة، الدوحة، ط1،1993.

26. ثالثا : المعاجم والمسوعات والقواميس:

27. إبراهيم مدكور، المعجم الفلسفي، الهيئة العامة للشؤون المطابع الأميرية، القاهرة، مصر، د ط، 1983.

28. عبد المنعم حنفي، المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة، اليقين، مكتبة متبولي، القاهرة، مصر ، ط3، 2000.

29. عبد المنعم حنفي، معجم مصطلحات الصوفية، دار المسيرة، بيروت، ط1،1987.

30. سعاد الحكيم، المعجم الصوفي، البرزخ، دندرة للطباعة والنشر، لبنان، ط1، 1981.

31. جميل صليبا ، المعجم الفلسفي، الشك ، دار الكتاب اللبناني، لبنان، ط1، 1984، ج1.

32. جورج طرابيشي ،معجم الفلاسفة،دار الطبيعة للطباعة والنشر ،بيروت ، ط3، 2006.

33. ابن منظور، لسان العرب، اليقين، دار صادر، بيروت، لبنان ، د ط ، د ت.

34. أيمن حمدي موسوعة مصطلحات الصوفية، دار قباء للطباعة والنشر،القاهرة ، دط، 2000 .

35. حسن الشرقاوي ، معجم الفاظ الصوفية،مؤسسة مختار للنشرو التوزيع ،القاهرة، ط1،1987 .

36. التهانوي، كشاف اصطلاحات الفنون، مكتبة لبنان، بيروت، ، ط1، 1996.

37. علي بن محمد السيد الشريف الجرجاني،معجم التعريفات: تحقيق محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة، دط،2004.

38. عبد الرزاق القاشاني، معجم اصطلاحات الصوفية، البرزخ ، تح عبد العال شاهين،دار المنار،القاهرة ،ط1992،1.

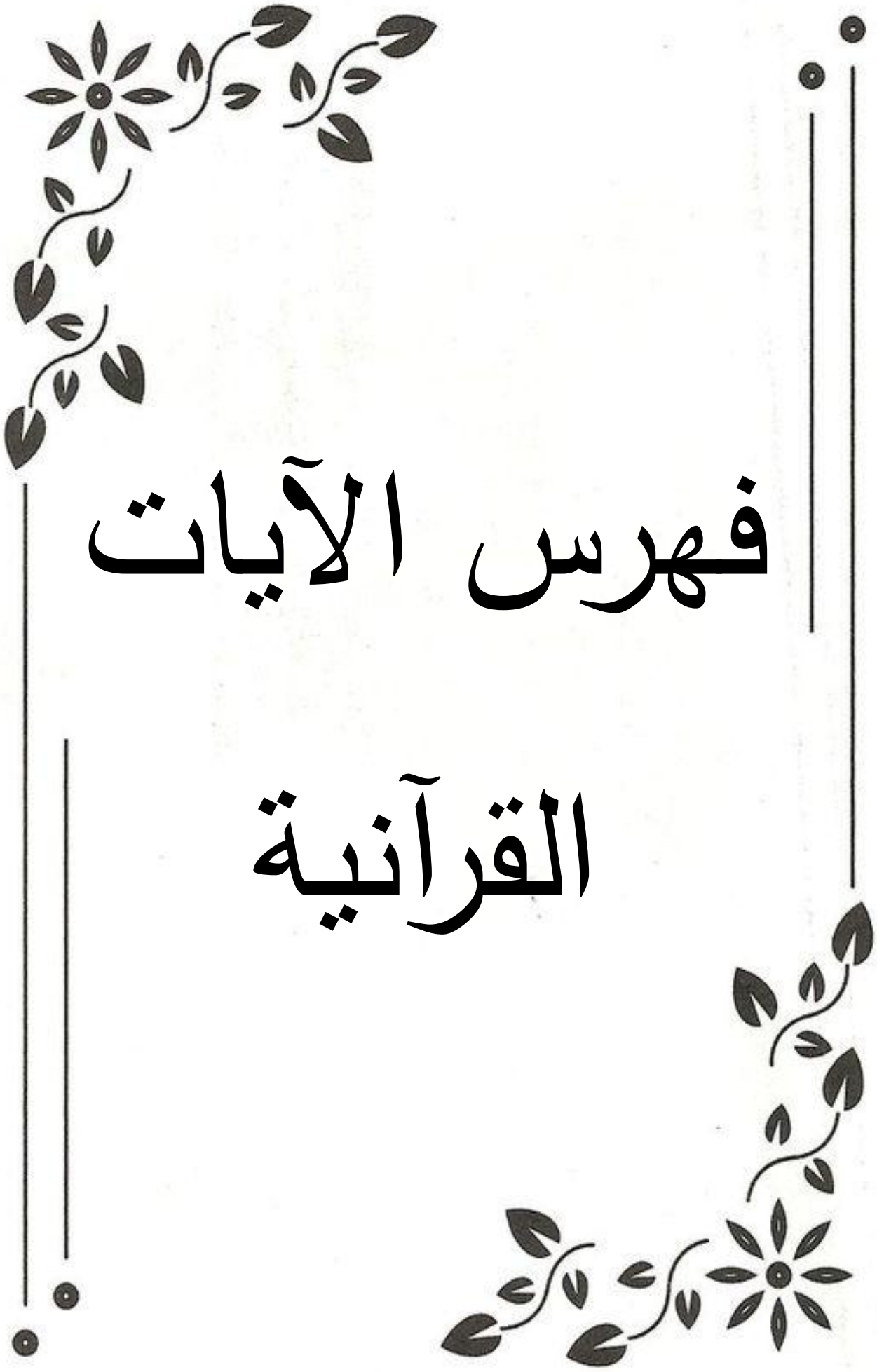

فهرس الآيات القرآنية

فهرس الآيات القرآنية

الآية	السورة	رقم الآية	الصفحة
﴿أَتَىٰ أَمْرُ اللَّهِ﴾	النحل	(01)	14
﴿وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ ۞ حَتَّىٰ أَتَانَا الْيَقِينُ﴾	المدثر	(47-46)	15
﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِين﴾	الحجر	(99)	15
﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينَا﴾	النساء	(157)	16
﴿وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَالسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُم مَّا نَدْرِي مَا السَّاعَةُ إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ	الجاثية	(32)	16
﴿كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ﴾	التكاثر	(05)	16
﴿ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ﴾	التكاثر	(07)	16

﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُم بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ﴾	الرعد	(02)	17
﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ كَذَٰلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾	البقرة	(118)	17
﴿وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُوقِنِينَ﴾	الذاريات	(20)	17
﴿هَٰذَا بَصَائِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾	الجاثية	(20)	17
﴿كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ﴾	التكاثر	(5)	18
﴿ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ﴾	التكاثر	(7)	18
﴿إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُم مَّا مِن دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾	هود	(56)	22
﴿وَالْمَلَكُ عَلَىٰ أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ﴾	الحاقة	(17)	23

﴿مَّا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِن بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾	فاطر	(02)	23
﴿الم ۞ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۞الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ۞وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ"﴾	البقرة	(04 – 01)	26
: ﴿هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبْدِهِ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لِّيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾	الحديد	(9)	27
﴿ لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾	البقرة	177	27

﴿قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ﴾	البقرة	(260)	30
﴿ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِن بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ﴾	إبراهيم	(09)	31
﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ﴾	النمل	(79)	32
﴿ ما أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾	التغابن	(11)	33
﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُم بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ﴾	الرعد	الآية (2)	37
﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ﴾	الأنعام	(75)	37

﴿ وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ۞ وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ۞ وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ۞ فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ﴾	الذاريات	(23-20)	37
﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَد ۞اللَّهُ الصَّمَدُ ۞لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۞ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾	الإخلاص	(1 – 4)	41
﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيم﴾	آل عمران	(18)	41
﴿لَّقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾	ق	(22)	55
﴿بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِن شَاءَ وَتَنسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ﴾	الأنعام	(41)	54
﴿كَمَا أَنزَلْنَا عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ﴾	الحجر	(90)	59
﴿ تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾	القصص	(83)	61
﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾	البقرة	(152)	62

﴿ وَاذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ الْغَافِلِينَ﴾	الأعراف	(205)	62
﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾	الرعد	(28)	62
﴿كَمَا أَنزَلْنَا عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ﴾	الحجر	(90)	63
﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾	العنكبوت	(69)	64
﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾	فصلت	(53)	74
﴿أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ۝ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً﴾	الفجر	(28-27)	79
﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾	فصلت	(53)	80
﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ	سورة الحجرات	(10)	81

وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾			
﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ۞بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ ۞ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾	الرحمن	(19-21)	84
﴿لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾	المؤمنون	(100)	84
﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴾	سورة التين	الآية 04.	88

فهرس الأحاديث

النبوية

فهرس الأحاديث النبوية

الرقم التسلسلي	الحديث النبوي الشريف	رواية	الصفحة
1	"إن عيسى ابن مريم، عليه السلام كان يمشي على الماء، قال: لو ازداد يقينا لمشى في الهواء"	نقلا عن الرازي	**14**
2	""سلوا الله اليقين والمعافاة، فإنه لم يؤت أحد بعد اليقين خيرا من المعافاة"	أبي عبد الله بن إسماعيل البخاري	**36**
3	"سلوا الله العفو والعافية واليقين في الأولى والآخرة فإنه ما أوتي العبد بعد اليقين خير من العافية"	البيهقي	**36**

فهرس

الأعلام

فهرس الأعلام

الاسم	الصفحة
الغزالي	12،13
ابن تيمية	12،13،19
عبد المنعم حنفي	12،19،25
الرازي	13،14،28،60،61
ابن قيم الجوزية	29،32،33،64
القشيري	41
الجرجاني	41،47،69،78
بلاثيوس	49
القاشاني	53
التهانوي	70
ابن سبعين	71
الجيلي	71

فهرس

المواضيع

الفهرس

الآية

شكر وتقدير

إهداء

مقدمة أ – و

الفصل الأول : اليقين في الفلسفة الإسلامية و التصوف **8–38**

المبحث الأول : المجال المفاهيمي المنصب حوله اليقين 9

المطلب الأول: المجال المفاهيمي اللغوي لليقين 9

المطلب الثاني: المجال المفاهيمي الإصطلاحي لليقين 10

المطلب الثالث: اقتران آيات القرآن الكريم باليقين 15

المطلب الرابع: تعريف اليقين عند الصوفية 18

المبحث الثاني: تفكيكات متعلقة باليقين 21

المطلب الأول: مراتب اليقين عند ابن عربي 21

المطلب الثاني: أنواع اليقين 25

المطلب الثالث: مقام اليقين 27

المبحث الثالث: حكم اليقين ومزايا أهله 30

المطلب الأول: حكم اليقين 30

المطلب الثاني: آثار اليقين 32

المطلب الثالث: علامات أهل اليقين 33

المطلب الرابع: وسائل تقوية اليقين 35

الفصل الثاني :اليقين كأساس عرفاني في التجربة الصوفية **40–66**

المبحث الأول: اليقين وعلاقته بمعرفة الله الحقة 41

المطلب الأول: التوحيد ووحدة الوجود 41

1- التوحيد 41

2- وحدة الوجود 43

المطلب الثاني: الاتحاد والحلول 46
1- الاتحاد 46
2- الحلول 47
المطلب الثالث: الفناء والبقاء 49
1 - الفناء 49
2 – البقاء 50
المطلب الرابع: علاقة اليقين بمعرفة الله الحقة 50
المبحث الثاني : وسائل المعرفة اليقينية 53
المطلب الأول: الذوق 53
المطلب الثاني: الكشف 55
المطلب الثالث:الوجد 57
المطلب الرابع: علاقة اليقين بوسائل المعرفة الصوفية 58
المبحث الثالث : الرياضات الصوفية الموصلة لليقين 60
المطلب الأول: الزهد 60
المطلب الثاني: الذكر والعبودية 62
1- الذكر 62
2– العبودية 63
المطلب الثالث: المجاهدة 64
المطلب الرابع: علاقة اليقين بالرياضات الصوفية 65
الفصل الثالث : نظرية الإنسان الكامل كأقوى برهان على اليقين 68–90
المبحث الأول : المقصد من الإنسان الكامل عند الصوفية عامة وابن عربي خاصة 69
المطلب الأول: تعريف الإنسان الكامل 69
المطلب الثاني: منزلة الإنسان الكامل في الفكر الصوفي 72
المطلب الثالث: الإنسان الكامل في فكر ابن عربي 75
المبحث الثاني: الطرق الموصلة إلى مرتبة الإنسان الكامل 78
المطلب الأول: معرفة الإنسان الكامل من معرفة النفس 78
المطلب الثاني: معرفة الإنسان الكامل من حيث كماله 81

المبحث الثالث: الإنسان الكامل محققا لليقين 84
المطلب الأول: الإنسان الكامل برزخا 84
المطلب الثاني: الإنسان الكامل جامع للحقائق 86
المطلب الثالث: وساطة الإنسان الكامل للحق وللخلق 89
الفرع الأول: وساطة الإنسان الكامل للحق 90
الفرع الثاني: وساطة الإنسان الكامل للخلق 92
خاتمة 92
قائمة المصادر والمراجع 96
فهرس الآيات القرآنية 101
فهرس الأحاديث النبوية الشريفة 110
فهرس الأعلام 112
فهرس المواضيع 114